سورة القدر

[١٠٢٩] ك.. أخرج الترمذي والحاكم وابن جرير عن الحسن بن علي قال إن النبي [ﷺ] رأى بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾[1] ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾[2] تملكها بعدك بنو أمية قال القاسم الحراني: فعددنا وإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص قال الترمذي: غريب وقال المزني وابن كثير: منكر جداً.

وأخرج ابن أبي حاتم والواحدي عن مجاهد أن رسول الله [ﷺ] ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾[3] التي لبس ذلك الرجل السلاح فيها في سبيل الله.

[١٠٣٠] ك.. وأخرج ابن جرير[4] عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي فعمل ذلك ألف شهر فأنزل الله: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾[5] عملها ذلك الرجل.

* * *

[١٠٢٩] (١) سورة الكوثر: الآية (١).
(٢) سورة القدر: الآية (١و٣).
(٣) سورة القدر: الآية (١و٣).
[١٠٣٠] (٤) ورواه الواحدي في أسباب النزول ص (٢٥٨).
(٥) سورة القدر: الآية (٣).

(٩٧) سورة القدر مكية وآياتها خمس

سورة القدر مكية ، وهي تتحدث عن بدء نزول القرآن العظيم ، من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، وعن فضل ليلة القدر على سائر ليالي العمر ، وما فيها من الأنوار ، والتجليات القدسية ، والنفحات الربانية ، التي يفيضها الله على عباده المؤمنين ، تكريماً لنزول القرآن المبين ، كما تحدثت عن نزول الملائكة الأطهار في تلك الليلة المباركة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ، ويا لها من ليلةٍ عظيمة القدر ، حافلةٍ بالفضائل والمفاخر !! ولذلك كانت أفضل من ألف شهر ، وهي – على الأصح – في العشر الأخير من شهر رمضان المبارك ، لأن الله قال هنا « إنا أنزلناه في ليلة القدر » وقال في سورة البقرة « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » فدلَّ على أن ليلة القدر في شهر رمضان ، والله اعلم

● ● ●

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القدر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١]

قوله عز وجل: **إنا أنزلناه في ليلة القدر**، قال أهل التأويل: إن قوله: **إنا أنزلناه**، يعني القرآن، ويحتمل أن يكون قوله: **إنا أنزلناه**، يعني السلام الذي ذكره[2] في آخر السورة حيث قال: مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ.[3] فمن قال: أنزل القرآن في ليلة القدر فهم مختلفون فيه. قال بعضهم: أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا من اللوح المحفوظ في تلك الليلة، وهي في شهر رمضان، كقوله: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ،[4] أي أنزل من اللوح المحفوظ، ثم أنزل[5] من السماء الدنيا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتفاريق على قدر الحاجة من الأمر والنهي والحلال والحرام والمواعظ وكل ما يُحتاج إليه. وقال بعضهم: إنما أُنزل من اللوح المحفوظ في تلك الليلة المقدارُ الذي يحتاج إليه إلى العام القابل جملة، ثم يَنزِل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نُجوما بالتفاريق. ***والله أعلم.***

---

[1] ر - سورة القدر؛ ث + خمس آيات وهي مكية؛ م + مكية. نسخة ن (نور عثمانية، رقم ١٢٤) ناقصة قدر ثلاث صفحات. وستأتي الإشارة إليها.

[2] ر م: ذكر.

[3] الآيتان ٤ و ٥ من هذه السورة.

[4] سورة البقرة، ١٨٥/٢.

[5] ث: ثم نزل.

ثم لا ندري أن تلك الفضيلة التي جعلت لهذه الليلة: لِفضلِ عبادة جعلت فيها [التي] امتُحن الخلق بأدائها على الترغيب والأدب، أو فُضِّلت لمكان ما امتَحن الملائكة وكلَّفهم بالنزول فيها والعبادة لله في الأرض وأنزل القرآن ونحو ذلك، أو لحكمة ومعنى فضِلت لم يُطلع على ذلك المعنى أحدا. وقد جعلت لبعض الأمكنة الفضيلة لعبادات جعلت فيها، نحو ما ذُكر: «صلاة واحدة في المسجد الحرام تعدل مِائَة ألفِ صلاةٍ في غيره، وصلاة واحدة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة في غيره سوى المسجد الحرام».[1] وقال الله تعالى: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[2] خصت هذه البقاع بالفضيلة على غيرها لعبادات جعلت فيها. فعلى ذلك جائز أن يُخَصَّ بعض الأوقات[3] دون بعض بالفضيلة لمكان عبادات جعلت فيها. لكن بيّن تلك الأماكن ولم يُبيّن تلك الأوقاتَ المفضلة وجعلها مطلوبةً من بين غيرها من الأوقات، فهو -والله أعلم- أن لو بُيّن وأشير إليها لكان لا مئونة تلزم[4] في ذلك لأنه يحفظ ذلك الوقت وتلك الليلة خاصة، وأما المكان فتلزم[5] المئونة في إتيان ذلك المكان. وعلى ذلك يخرج ما لم يبين وقتَ خروج روح الإنسان من بدنه، لأنه لو بين وأعلم نهاية عمره لتعاطي الفسق وارتكب المعاصي آمنا إلى آخر[6] أجزاء حياته ثم يتوب، فلم يبين ليكون أبدا على خوف وحذر ورجاء، فعلى ذلك لم يبين تلك الليلة لتُطلب[7] من بين الليالي جميعا لِيُحْيُوا لياليَ غيرها. *والله أعلم*.[8]

ثم إن كان السؤال عن القرآن -وهو المنزَل[9] في[10] تلك الليلة- يكون دليله قولَه: حٰمٓ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ،[11] وإن كان السؤال عن ليلة القدر فيكون البيان عنها:

---

[1] *سنن ابن ماجة*، الإقامة ١٩٥؛ وانظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٤٠٤/٥.
[2] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[3] ث + المفضلة وجعلها مطلوبة.
[4] ر ث م: يلزم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٣ظ.
[5] ر ث م: تلزم.
[6] م: آمنا آخر.
[7] ر ث م: ليطلب. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ث: والله سبحانه أعلم.
[9] ر م: هو المنزل.
[10] م + ليلة الغد.
[11] سورة الدخان، ١/٤٤-٣.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾[٢]

ثم قوله: **وما أدراك ما ليلة القدر**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما يقول: ما كنت تدري حتى أدراك، كقوله: مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا.[١] ويحتمل قوله: **وما أدراك**، على التعظيم لها والتعجيب. *والله أعلم*.[٢] وقيل: نزول هذه الآية يكون على معنى التسلي، أعطاه فضل هذه الليلة والعملَ فيها.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٣]

ثم بين فضلها حيث قال: **ليلة القدر خير من ألف شهر**، اختلف فيه. قال بعضهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم أُرِيَ بني أُميّةَ على منبره، فساءه ذلك فنزل: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ.[٣] **ليلة القدر خير من ألف شهر**، أي من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية يا محمد.[٤] وقال بعضهم: **ليلة القدر خير من ألف شهر**، أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر سواها. وقيل أيضا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لأصحابه[٥] أن رجلا من بني إسرائيل جاهد ألف شهر في سبيل الله فَعَظُم ذلك عليهم فنزل قوله: **ليلة القدر خير من ألف شهر**، أي العمل فيها / خير من جهاد[٦] ذلك الرجل في ألف شهر.[٧] ويحتمل أن يكون [٩١٦و] ذكر ألف شهر على سبيل التمثيل لا على التوقيت، أي خير من ألف شهر وأكثرَ، إذ التقدير قد يكون لبيان العدد نفسه وقد يكون لبيان شرف ذلك الشيء وعظمته، فلا يكون الغرض هو القصرَ على العدد، وهو كقوله: إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ،[٨] ونحو ذلك.

ثم اختلف في تسمية ليلة القدر، قال بعضهم: هي ليلة الحكم والقضاء، فيها يحكم ويقضي ما يريد أن يكون في ذلك العام المقبل، كقوله:[٩] فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ.[١٠]

---

[١] سورة هود، ١١/٤٩.
[٢] ث: والله سبحانه وتعالى أعلم.
[٣] الآيتان السابقتان.
[٤] *تفسير الطبري*، ٣٠/٣٢٩-٣٣٠.
[٥] ث: الصحابة.
[٦] ث: من عمل.
[٧] *تفسير الطبري*، ٣٠/٣٢٩؛ و*تفسير ابن كثير*، ٨/٤٦٤.
[٨] سورة التوبة، ٩/٨٠.
[٩] ث + سبحانه وتعالى.
[١٠] ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ (سورة الدخان، ٤٤/٣-٤).

* أو سميت ليلةَ القدر لأنها ليلة لها قدر ومنزلة عند الله تعالى لما يوصف الشيء[2] العظيم بالقدر والمنزلة، وسميت ليلة مباركة[3] لأنه تنزل[4] فيها البركات والرحمة من الله تعالى على خلقه، أو سميت مباركة لكثرة ما يعمل فيها من العبادات.

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[٤] ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام**، قال بعضهم: الروح هاهنا جبريل عليه السلام،[5] كقوله تعالى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ،[6] وقال بعضهم:[7] الروح[8] خلق مُوَكَّلون بالملائكة كما أن الملائكة موكلون ببني آدم. وجائز أن يكون الروح هاهنا هو الرحمةَ، أي تنزل[9] الملائكة بالرحمة فيها على ما سميت مباركة بما تنزل[10] فيها من البركات. ثم اختلفوا في قوله: **فيها**، قال بعضهم: أي في تلك الليلة تنزل الملائكة والروح، وقيل: الروح[11] **فيها**، أي في الملائكة.

وقوله عز وجل: **بإذن ربهم**، أي ينزلون بأمر ربهم.[12] وقوله عز وجل: **من كل أمر**، قال بعضهم: أي بكل أمر يقدّر في تلك السنة على الأرض. وكذا قال القُتَبي: **من كل أمر سلام**، أي بكل أمر سلام.[13] وقيل: **من كل أمر**، يدبره الله تعالى، أي الملائكة لا علم لهم في ما يقدر الله تعالى إلا أن يُطْلعهم عليه، فكأنهم يَطّلعون على ما يقدّر في تلك السنة من الأمور، فينزلون بها بأمر الله تعالى.

* ابتدأت متن نسخة ن (نور عثمانية، رقم ١٢٤) من هنا.
[2] ر + أو سميت ليلة القدر لأنها ليلة لها قدر ومنزلة عند الله تعالى لما يوصف الشيء.
[3] يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين﴾ (سورة الدخان، ٣/٤٤).
[4] جميع النسخ: لأنه ينزل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٤و.
[5] ر م – عليه السلام؛ ث: هاهنا عليه الصلاة والسلام.
[6] سورة الشعراء، ١٩٣/٢٦.
[7] ن ث – بعضهم.
[8] ر م – الروح.
[9] ر ث م: هنا هو الرحمة أي ينزل.
[10] جميع النسخ: بما ينزل. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م – الروح.
[12] ر م: بإذن ربهم.
[13] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥٣٤.

وقوله عز وجل: **سلام،**[١] قيل: تنزل الملائكة تَخْفُق بأجنحتها بالسلام من الله والرحمة والمغفرة. وقيل:[٢] أي هي ليلة سالمة لا يَحْدُث فيها شر ولا يُرسَل فيها شيطان إلى مطلع الفجر. وقال بعضهم: هو سلام الملائكة، أي تسلّم الملائكة على كل مؤمن ومؤمنة. وقال بعضهم: **من كل أمر سلام،** أي من كل آفة وبلاء سلام؛ وكذلك[٣] ذُكر في قوله: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ؛[٤] قال بعضهم: يحفظونه من عذاب الله، وقال بعضهم: يحفظونه بأمر الله تعالى، فلذلك يحتمل قوله: **من كل أمر سلام،** هذين الوجهين.

وقوله عز وجل: **هي**[٥] **حتى مطلع الفجر،** يحتمل أي تلك البركات التي ذكرت إلى مطلع الفجر، ويحتمل ذلك السلامُ الذي ذكر إلى مطلع الفجر، ويحتمل الملائكة يكونون في الأرض إلى مطلع الفجر. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ: من كل امْرِئٍ سلام، وقال: يعني الملائكة.[٦]

ثم[٧] قال بعضهم: اختلفت[٨] الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر متى يكون؟ واختلفت[٩] الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فيها. روى[١٠] عبد الله بن أُنَيْس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التمِسوها في العشر الأواخر، واطلبوها[١١] في كل وتر».[١٢] وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليلةُ تسعةَ عشرَ من رمضان وليلة إحدى وعشرين وليلةُ ثلاثة وعشرين».[١٣] وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تَحرَّوا[١٤] ليلة القدر في السبع الأواخر».[١٥]

---

[١] ر م + هي.
[٢] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٤و.
[٣] ن: وكذا.
[٤] سورة الرعد، ١١/١٣.
[٥] ر ث م - هي.
[٦] *تفسير الطبري*، ٣٣٠/٣٠؛ وانظر: معجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٥١٨/١٠.
[٧] ر م - ثم.
[٨] ر م: اختلف.
[٩] ر م: واختلف.
[١٠] ر ث م: يروى.
[١١] ر م: واطلبوا.
[١٢] سنن *الترمذي*، الصوم ٧٢.
[١٣] سنن *الترمذي*، الصوم ٧٢.
[١٤] ر م: تخيروا؛ ن: الحروا.
[١٥] مسند *أحمد بن حنبل*، ١١٣/٢؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٢٠٦؛ وسنن *أبي داود*، شهر رمضان ٥.

وروي أنها في سبع وعشرين. وعن[1] عبد الله بن عمر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وأنا أسمع، قال: «هي في كل رمضان».[2] وعن زرٍّ[3] قال: قلت لأبيّ بن كعب: أخبرني عن ليلة القدر يا أبا[4] المنذر، فإن صاحبنا[5] عبد الله بن مسعود سئل عنها فقال:[6] "من يقيم الحول يصيبها". فقال: نعم رحم الله أبا[7] عبد الرحمن، واللهِ لقد علم أنها في رمضان، كره أن يَتَّكِلوا، والله إنها في رمضان ليلة سبع وعشرين.[8]

ثم ليس لنا ولا لأحد أن يشير إلى تلك الليلة فيقولَ:[9] هي ليلة كذا، ليلةُ سبعٍ وعشرين[10] أو تسع وعشرين إلا أن يثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك خبر بالإشارة إليها، فعند ذلك يسع[11] وإلا كانت مطلوبة في الليالي. وعلى هذا الوجه يخرج الأخبار المروية على التوافق دون المناقضة ويكون كلها صحيحة، فيكون في سنة [في][12] بعض الليالي وفي سنة أخرى في غيرها، وفي سنة[13] في العشر الأواخر من رمضان، وفي سنة في العشر[14] الأوسط من رمضان، وفي سنة في العشر الأول، وفي سنة في غير رمضان. والله أعلم بذلك.[15]

---

[1] ر م – عن.

[2] سنن أبي داود، رمضان ٤؛ والدر المنثور للسيوطي، ٨/٥٧١.

[3] ر م: وعن زبير؛ ن ث: وعن أبي زر. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٥٤و.

[4] ر ث: القدر بأنا.

[5] ر ث م: فإن صاحبه.

[6] ن: قال.

[7] ث: أنا.

[8] حدثنا محمد بن حاتم وابن أبي عمر كلاهما عن ابن عيينة. قال ابن حاتم: حدثنا سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم بن أبي النجود سمعا زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ يقول: سألت أبيَّ بنَ كعبٍ رضي الله عنه فقلت: إن أخاك ابن مسعود يقول: من يَقُمِ الحولَ يصب ليلة القدر. فقال: رحمه الله! أراد أن لا يَتَّكِلَ الناسُ. أَمَا إنه قد علم أنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر وأنها ليلة سبع وعشرين. (صحيح مسلم، الصيام ٢٢٠).

[9] ن: فنقول.

[10] ن: عشرين.

[11] جميع النسخ: تسع. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٥٤ظ.

[12] الزيادة من المرجع السابق.

[13] ر ث م: وفي سبع.

[14] ر م: وفي سنة العشر.

[15] ر: والله تعالى أعلم بالصواب الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين؛ ث + وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين؛ م: والله أعلم بالصواب.

سورة القدر

خمس آيات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أجمع المفسرون على أن المراد: إنا أنزلنا القرآن في ليلة القدر، ولكنه تعالى ترك التصريح بالذكر؛ لأن هذا التركيب يدل على عظم القرآن من ثلاثة أوجه: **أحدها:** أنه أسند إنزاله إليه وجعله مختصًا به دون غيره. **والثاني:** أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التصريح، ألا ترى أنه في السورة المتقدمة لم يذكر اسم أبي جهل ولم يخف على أحد لاشتهاره، وقوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣] لم يذكر الموت لشهرته، فكذا ههنا. **والثالث:** تعظيم الوقت الذي أنزل فيه.

المسألة الثانية: أنه تعالى قال في بعض المواضع: ﴿إِنِّى﴾ كقوله: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وفي بعض المواضع: ﴿إِنَّآ﴾ كقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ . ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [نوح: ١]، ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

واعلم أن قوله: ﴿إِنَّآ﴾ تارة يراد به التعظيم، وحَمْله على الجمع محال لأن الدلائل دلت على وحدة الصانع، ولأنه لو كان في الآلهة كثرة لانحطت رتبة كل واحد منهم عن الإلهية؛ لأنه لو كان كل واحد منهم قادرًا على الكمال لاستغنى بكل واحد منهم عن كل واحد منهم، وكونه مستغنى عنه نقص في حقه فيكون الكل ناقصًا، وإن لم يكن كل واحد منهم قادرًا على الكمال كان ناقصًا، فعلمنا أن قوله: ﴿إِنَّآ﴾ محمول على التعظيم لا على الجمع.

المسألة الثالثة: إن قيل: ما معنى إنه أنزل في ليلة القدر، مع العلم بأنه أنزل نجومًا؟ قلنا: فيه وجوه: **أحدهما:** قال الشعبي: ابتدأ بإنزاله ليلة القدر لأن البعث كان في رمضان. **والثاني:** قال ابن عباس: أنزل إلى سماء الدنيا جملة ليلة القدر، ثم إلى الأرض نجومًا، كما قال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] وقد ذكرنا هذه المسألة في قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] لا يقال: فعلى هذا القول لمَ لم يقل: أنزلناه إلى السماء؟ لأن إطلاقه يوهم الإنزال إلى الأرض؛ لأنا نقول: إن إنزاله إلى السماء كإنزاله إلى الأرض؛ لأنه لم يكن ليشرع في أمر ثم لا يتمه، وهو كغائب جاء إلى نواحي البلد، يقال: جاء فلان، أو يقال: الغرض من تقريبه

وإنزاله إلى سماء الدنيا أن يشوقهم إلى نزوله، كمن يسمع الخبر بمجيء منشور لوالده أو أمه، فإنه يزداد شوقه إلى مطالعته كما قال:

وَأَبْـرَحُ مَـا يَـكُـونُ الشَّـوْقُ يَـوْمًـا إِذَا دَنَـتِ الـدِّيَـارُ مِـنَ الـدِّيَـارِ(١)

وهذا لأن السماء كالمشترك بيننا وبين الملائكة، فهي لهم مسكن ولنا سقف وزينة، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ [الأنبياء: ٣٢] فإنزاله القرآن هناك كإنزاله ههنا **والوجه الثالث في الجواب: أن التقدير**: أنزلنا هذا الذكر في ليلة القدر، أي في فضيلة ليلة القدر وبيان شرفها.

المسألة الرابعة: القدر مصدر قدرت أقدر قدرًا، والمراد به ما يمضيه الله من الأمور، قال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] والقَدَر والقَدْر واحد إلا أنه بالتسكين مصدر وبالفتح اسم، قال الواحدي: القدر في اللغة بمعنى التقدير، وهو جُعل لشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان. واختلفوا في أنه لمَ سميت هذه الليلة ليلة القدر على وجوه: **أحدهما**: أنها ليلة تقدير الأمور والأحكام، قال عطاء، عن ابن عباس: إن الله قدر ما يكون في كل تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية، ونظيره قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] واعلم أن تقدير الله لا يحدث في تلك الليلة، فإنه تعالى قَدَّر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض في الأزل، بل المراد إظهار تلك الليلة المقادير للملائكة في تلك الليلة بأن يكتبها في اللوح المحفوظ، وهذا القول اختيار عامة العلماء. **الثاني**: نُقل عن الزهري أنه قال: ليلة القدر ليلة العظمة والشرف، من قولهم: لفلان قدر عند فلان، أي منزلة وشرف، ويدل عليه قوله: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ٣] ثم هذا يحتمل وجهين: **أحدهما**: أن يرجع ذلك إلى الفاعل، أي من أتى فيها بالطاعات صار ذا قدر وشرف. **وثانيهما**: إلى الفعل أي الطاعات لها في تلك الليلة قدر زائد وشرف زائد، وعن أبي بكر الوراق: سميت ليلة القدر لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر، على لسان ملك ذي قدر، على أمة لها قدر. ولعل الله تعالى إنما ذكر لفظة القدر في هذه السورة ثلاث مرات لهذا السبب.

والقول الثالث: ليلة القدر، أي الضِّيق، فإن الأرض تضيق عن الملائكة.

المسألة الخامسة: أنه تعالى أخفى هذه الليلة لوجوه: **أحدها**: أنه تعالى أخفاها، كما أخفى سائر الأشياء، فإنه أخفى رضاه في الطاعات، حتى يرغبوا في الكل، وأخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكل، وأخفى وليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل، وأخفى الإجابة في

(١) هذا البيت ضمن قصيدة لابن الأبار وهو محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي أبو عبد الله. (٥٩٥- ٦٥٨هـ/ ١١٩٩- ١٢٦٠م) من أعيان المؤرخين، أديب من أهل بلنسية بالأندلس، ومولده بها، رحل عنها لما أحتلها الإفرنج واستقر بتونس، فقربه صاحب تونس السلطان أبو زكريا، وولاه كتابة (علامته) في صدور الرسائل مدة ثم صرفه عنها، وأعاده. ومات أبو زكريا وخلفه ابنه المستنصر فرفع هذا مكانته، ثم علم المستنصر أن ابن الأبار كان يزري عليه في مجالسه، وعزيت إليه أبيات في هجائه، فأمر به فقتل قصعًا بالرماح في تونس، وله شعر رقيق.

الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات، وأخفى الاسم الأعظم ليعظموا كل الأسماء، وأخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل، وأخفى قبول التوبة ليواظب المكلف على جميع أقسام التوبة، وأخفى وقت الموت ليخاف المكلف، فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان.

وثانيها: كأنه تعالى يقول: لو عينت ليلة القدر وأنا عالم بتجاسركم على المعصية، فربما دعتك الشهوة في تلك الليلة إلى المعصية، فوقعت في الذنب، فكانت معصيتك مع علمك أشد من معصيتك لا مع علمك، فلهذا السبب أخفيتها عليك. روي أنه عليه السلام دخل المسجد فرأى نائمًا، فقال: «يا علي نبهه ليتوضأ» فأيقظه عليّ، ثم قال علي: يا رسول الله إنك سباق إلى الخيرات، فلمَ لم تنبهه؟ قال: «لِأَنَّ رَدَّهُ عَلَيْكَ لَيْسَ بِكُفْرٍ، فَفَعَلْتُ ذَٰلِكَ لِتَخِفَّ جِنَايَتُهُ لَوْ أَبَى»[1]، فإذا كان هذا رحمة الرسول، فقس عليه رحمة الرب تعالى، فكأنه تعالى يقول: إذا علمت ليلة القدر فإن أطعت فيها اكتسبت ثواب ألف شهر، وإن عصيت فيها اكتسب عقاب ألف شهر، ودفع العقاب أَوْلى من جلب الثواب. **وثالثها:** أني أخفيت هذه الليلة حتى يجتهد المكلف في طلبها، فيكتسب ثواب الاجتهاد. **ورابعها:** أن العبد إذا لم يتيقن ليلة القدر، فإنه يجتهد في الطاعة في جميع ليالي رمضان، على رجاء أنه ربما كانت هذه الليلة هي ليلة القدر، فيباهي الله تعالى بهم ملائكته، يقول: كنتم تقولون فيهم يفسدون ويسفكون الدماء، فهذا جده واجتهاده في الليلة المظنونة، فكيف لو جعلتها معلومة له؟! فحينئذٍ يظهر سر قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

المسألة السادسة: اختلفوا في أن هذه الليلة هل تستتبع اليوم؟ قال الشعبي: نعم يومها كليلتها، ولعل الوجه فيه أن ذكر الليالي يستتبع الأيام، ومنه إذا نذر اعتكاف ليلتين ألزمناه بيوميهما، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢] أي اليوم يخلف ليلته وبالضد.

المسألة السابعة: هذه الليلة هل هي باقية؟ قال الخليل: من قال: إن فضلها لنزول القرآن فيها يقول: (انقطعت وكانت مرة) والجمهور على أنها باقية، وعلى هذا هل هي مختصة برمضان أم لا؟ روي عن ابن مسعود أنه قال: من يقم الحول يصبها. وفسرها عكرمة بليلة البراءة في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] والجمهور على أنها مختصة برمضان واحتجوا عليه بقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ فوجب أن تكون ليلة القدر في رمضان لئلا يلزم التناقض، وعلى هذا القول اختلفوا في تعيينها على ثمانية أقوال، فقال ابن رزين: ليلة القدر هي الليلة الأولى من رمضان. وقال الحسن البصري: السابعة عشرة. وعن أنس مرفوعًا: التاسعة عشرة. وقال محمد بن إسحاق: الحادية والعشرون. وعن ابن عباس: الثالثة والعشرون. وقال ابن مسعود: الرابعة والعشرون، وقال أبو ذر الغفاري: الخامسة والعشرون. وقال أبي بن كعب وجماعة من الصحابة: السابعة والعشرون. وقال بعضهم: التاسعة والعشرون.

---

(١) لم أجده.

أما الذين قالوا: إنها الليلة الأولى (فقد) قالوا: روى وهب أن صحف إبراهيم أُنزلت في الليلة الأولى من رمضان، والتوراة لست ليالٍ مضين من رمضان بعد صحف إبراهيم بسبعمائة سنة، وأنزل الزبور على داود لثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان بعد التوراة بخمسمائة عام، وأُنزل الإنجيل على عيسى لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان، بعد الزبور بستمائة عام وعشرين عامًا، وكان القرآن ينزل على النبي ﷺ في كل ليلة قدر من السنة إلى السنة، كان جبريل عليه السلام ينزل به من بيت العزة من السماء السابعة إلى سماء الدنيا، فأنزل الله تعالى القرآن في عشرين شهرًا في عشرين سنة، فلما كان هذا الشهر هو الشهر الذي حصلت فيه هذه الخيرات العظيمة، لا جرم كان في غاية الشرف والقدر والرتبة، فكانت الليلة الأولى منه ليلة القدر. وأما الحسن البصري فإنه قال: هي ليلة سبعة عشر؛ لأنها ليلة كانت صبيحتها وقعة بدر، وأما التاسعة عشرة فقد روى أنس فيها خبرًا، وأما ليلة السابع والعشرين فقد مال الشافعي إليه لحديث الماء والطين، والذي عليه المعظم أنها ليلة السابع والعشرين، وذكروا فيه أمارات ضعيفة: **أحدها:** حديث ابن عباس أن السورة ثلاثون كلمة، وقوله: ﴿هِيَ﴾ هي السابعة والعشرون منها. **وثانيها:** روي أن عمر سأل الصحابة ثم قال لابن عباس: غص يا غواص. فقال زيد بن ثابت: أحضرتَ أولاد المهاجرين وماأحضرت أولادنا. فقال عمر: لعلك تقول: إن هذا غلام، ولكن عنده ما ليس عندكم. فقال ابن عباس: أحب الأعداد إلى الله تعالى الوتر أحب الوتر إليه السبعة، فذكر السموات السبع والأرضين السبع والأسبوع ودركات النار وعدد الطواف والأعضاء السبعة، فدل على أنها السابعة والعشرون. **وثالثها:** نقل أيضًا عن ابن عباس أنه قال: ﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ تسعة أحرف، وهو مذكور ثلاث مرات فتكون السابعة والعشرين. **ورابعها:** أنه كان لعثمان بن أبي العاص غلام، فقال: يا مولاي إن البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر، قال: إذا كانت تلك الليلة، فأعلمني فإذا هي السابعة والعشرون من رمضان. وأما من قال: (إنها الليلة الأخيرة) قال: لأنها هي الليلة التي تتم فيها طاعات هذا الشهر، بل أول رمضان كآدم وآخره كمحمد، ولذلك روي في الحديث: «**يُعْتَقُ فِي آخِرِ رَمَضَانَ بِعَدَدِ مَا أُعْتِقَ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ**» بل الليلة الأولى كمن وُلد له ذكر، فهي ليلة شكر، والأخيرة ليلة الفراق، كمن مات له ولد، فهي ليلة صبر، وقد علمت فرق ما بين الصبر والشكر.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها، ثم إنه تعالى بيّن فضيلتها من ثلاثة أوجه:

الأول: قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: في تفسير الآية وجوه: **أحدها:** أن العبادة فيها خير من ألف شهر ليس فيها هذه الليلة؛ لأنه كالمستحيل أن يقال: إنها ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فيها هذه الليلة، وإنما كان كذلك لما يزيد الله فيها من المنافع والأرزاق وأنواع الخير. **وثانيها:** قال مجاهد: كان في بني إسرائيل

رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسي، فَعَل ذلك ألف شهر، فتعجب رسول الله ﷺ والمسلمون من ذلك، فأنزل الله هذه الآية، أي: ليلة القدر لأمتك خير من ألف شهر لذلك الإسرائيلي الذي حمل السلاح ألف شهر. **وثالثها**: قال مالك بن أنس: أُري رسول الله ﷺ أعمار الناس، فاستقصر أعمار أمته، وخاف أن لا يبلغوا من الأعمال مثل ما بلغه سائر الأمم، فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير من ألف شهر لسائر الأمم. **ورابعها**: روى القاسم بن فضل عن عيسى بن مازن، قال: قلت للحسن بن علي عليه السلام: يا مسود وجوه المؤمنين عمدت إلى هذا الرجل فبايعت له؟! يعني معاوية، فقال: إن رسول الله ﷺ رأى في منامه بني أمية يطؤون منبره واحدًا بعد واحد، وفي رواية: ينزون على منبره نزو القردة [(١)]، فشق ذلك عليه فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ إلى قوله: ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يعني ملك بني أمية. قال القاسم: فحسبنا ملك بني أمية فإذا هو ألف شهر.

طعن القاضي في هذه الوجوه فقال: ما ذكر من ألف شهر في أيام بني أمية بعيد؛ لأنه تعالى لا يذكر فضلها بذكر ألف شهر مذمومة، وأيام بني أمية كانت مذمومة.

واعلم أن هذا الطعن ضعيف، وذلك لأن أيام بني أمية كانت أيامًا عظيمة بحسب السعادات الدنيوية، فلا يمتنع أن يقول الله تعالى: إني أعطيتك ليلة هي في السعادات الدينية أفضل من تلك السعادات الدنيوية.

المسألة الثانية: هذه الآية فيها بشارة عظيمة وفيها تهديد عظيم، أما البشارة فهي أنه تعالى ذكر أن هذه الليلة خير، ولم يبين قدر الخيرية، وهذا كقوله عليه السلام لمبارزة علي عليه السلام مع عمرو بن عبد ود (العامري) «**أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» [(٢)] فلم يقل: (مثل عمله) بل قال: (أفضل) كأنه يقول: حسبك هذا من الوزن والباقي جزاف.

واعلم أن من أحياها فكأنما عبد الله تعالى نيفًا وثمانين سنة، ومن أحياها كل سنة فكأنه رزق أعمارًا كثيرة، ومن أحيا الشهر لينالها بيقين فكأنه أحيا ثلاثين قدرًا، يروى أنه يجاء يوم القيامة بالإسرائيلي الذي عبد الله أربعمائة سنة، ويجاء برجل من هذه الأمة، وقد عبد الله أربعين سنة فيكون ثوابه أكثر، فيقول الإسرائيلي: أنت العدل، وأرى ثوابه أكثر. فيقول: إنكم كنتم تخافون

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري في (تفسيره) (١٧/ ٤٨٣) من طريق محمد بن الحسن بن زبالة قال: حدثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد قال: حدثني أبي عن جدي... به، وذكره السيوطي في (تاريخ الخلفاء) (١/ ١٨) وقال: إسناده ضعيف، (قلت): وعلته محمد بن الحسن بن زبالة قال الحافظ في التقريب: كذبوه. وقال الذهبي في الكشاف: متروك وشيخه عبد المهيمن ضعيف.

(٢) **موضوع**: رواه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٥٠/ ٣٣٣) والخطيب في (تاريخ بغداد) (١٣/ ١٨) كلاهما من طريق محمد بن سنان الحنظلي حدثني إسحاق بن بشر القرشي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي... به، قال ابن تيمية في (الأحاديث والآثار) (١/ ٤٢): (رواه أخطب خوارزم كما قال الرافضي) وقال: ليس هو من علماء الحديث، وهذا الحديث من المكذوبات.

العقوبة المعجلة فتعبدون، وأمة محمد كانوا آمنين لقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]ثم إنهم كانوا يعبدون، فلهذا السبب كانت عبادتهم أكثر ثوابًا. وأما التهديد فهو أنه تعالى توعد صاحب الكبيرة بالدخول في النار، وأن إحياء مائة ليلة من القدر لا يخلصه عن ذلك العذاب المستحق بتطفيف حبة واحدة، فلهذا فيه إشارة إلى تعظيم حال الذنب والمعصية.

المسألة الثالثة: لقائل أن يقول: صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَجْرُكَ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكَ» (١) ومن المعلوم أن الطاعة في ألف شهر أشق من الطاعة في ليلة واحدة، فكيف يعقل استواؤهما؟

والجواب من وجوه: أحدها: أن الفعل الواحد قد يختلف حاله في الحسن والقبح بسبب اختلاف الوجوه المنضمة إليه، ألا ترى أن صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بكذا درجة، مع أن الصورة قد تنتقض فإن المسبوق سقطت عنه ركعة واحدة، وأيضًا فأنت تقول لمن يرجم: إنه إنما يرجم لإنه زان فهو قول حسن، ولو قلته للنصراني فقذف يوجب التعزير، ولو قلته للمحصن فهو يوجب الحد، فقد اختلفت الأحكام في هذه المواضع، مع أن الصورة واحدة في الكل، بل لو قلته في حق عائشة كان كفرًا، ولذلك قال: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]وذلك لأن هذا طعن في حق عائشة التي كانت رحلة في العلم؛ لقوله عليه السلام: «خُذُوا ثُلُثَيْ دِينِكُمْ مِنْ هَذِهِ الْحُمَيْرَاءِ» (٢) وطعن في صفوان مع أنه كان رجلاً بدريًا، وطعن في كافة المؤمنين لأنها أم المؤمنين، وللولد حق المطالبة بقذف الأم وإن كان كافرًا، بل طعن في النبي الذي كان أشد خلق الله غيرة، بل طعن في حكمة الله إذ لا يجوز أن يتركه حتى يتزوج بامرأة زانية، ثم القائل بقوله: (هذا زان) فقد ظن أن هذه اللفظة سهلة مع أنها أثقل من الجبال، فقد ثبت بهذا أن الأفعال تختلف آثارها في الثواب والعقاب لاختلاف وجوهها، فلا يبعد أن تكون الطاعة القليلة في الصورة مساوية في الثواب للطاعات الكثيرة. **والوجه الثاني في الجواب:** أن مقصود الحكيم سبحانه أن يجر الخلق إلى الطاعات، فتارة يجعل ثمن الطاعة ضعفين، فقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]ومرة عشرًا، ومرة سبعمائة، وتارة بحسب الأزمنة، وتارة بحسب الأمكنة، والمقصود الأصلي من الكل جر المكلف إلى الطاعة وصرفه عن الاشتغال

---

(١) تقدم مرارًا.

(٢) موضوع: أورده الفتني في (تذكرة الموضوعات) (١/ ١٠٠) وقال: قال شيخنا: لا أعرف له إسنادًا ولا رأيته في شيء من كتب الحديث إلا في نهاية ابن الأثير وإلا في الفردوس بغير إسناد ولفظه: (خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء) وسئل المزي والذهبي فلم يعرفاه. وأورده السخاوي في (المقاصد الحسنة) (١/ ٣٢١) وقال: قال شيخنا في تخريج ابن الحاجب من إملائه: لا أعرف له إسنادًا ولا رأيته في شيء من كتب الحديث إلا في النهاية لابن الأثير. ذكره في مادة (ح م ر) ولم يذكر من خرجه، ورأيته أيضًا في كتاب الفردوس لكن بغير لفظه، وذكره من حديث أنس بغير إسناد أيضًا ولفظه (خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء) وبيض له صاحب مسند الفردوس فلم يخرج له إسنادًا وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير أنه سأل الحافظين المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه، وأورده الخراشي في (أحاديث لا تصح) (١/ ٥/ ٦١) وقال: قال ابن حجر: (لا أعرف له إسنادًا) وقال ابن القيم: كل حديث فيه: (يا حميراء)، أو ذكر: (الحميراء)؛ فهو كذب مختلق.

بالدنيا، فتارة يرجح البيت وزمزم على سائر البلاد، وتارة يفضل رمضان على سائر الشهور، وتارة يفضل الجمعة على سائر الأيام، وتارة يفضل ليلة القدر على سائر الليالي، والمقصود ما ذكرناه. **الوجه الثاني من فضائل هذه الليلة:**

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: اعلم أن نظر الملائكة على الأرواح، ونظر البشر على الأشباح، ثم إن الملائكة لما رأوا روحك محلاً للصفات الذميمة من الشهوة والغضب ما قبلوك، فقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويفسك الدماء؟! وأبواك لما رأوا قبح صورتك في أول الأمر حين كنت منيًّا وعلقة ما قبلوك أيضًا، بل أظهروا النفرة، واستقذروا ذلك المني والعلقة، وغسلوا ثيابهم عنه، ثم كم احتالوا للإسقاط والإبطال، ثم إنه تعالى لما أعطاك الصورة الحسنة فالأبوان لما رأوا تلك الصورة الحسنة قبلوك ومالوا إليك، فكذا الملائكة لما رأوا في روحك الصورة الحسنة وهي معرفة الله وطاعته، أحبوك فنزلوا إليك معتذرين عما قالوه أولاً، فهذا هو المراد من قوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فإذا نزلوا إليك رأوا روحك في ظلمة ليل البدن وظلمة القوى الجسمانية، فحينئذٍ يعتذرون عما تقدم: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧].

المسألة الثانية: أن قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يقتضي ظاهره نزول كل الملائكة، ثم الملائكة لهم كثرة عظيمة لا تحتمل كلهم الأرض، فلهذا السبب اختلفوا، **فقال بعضهم:** إنها تنزل بأسرها إلى السماء الدنيا، فإن قيل: الإشكال بعد باقٍ لأن السماء مملوءة بحيث لا يوجد فيها موضع إهاب إلا وفيه ملك، فكيف تسع الجميع سماء واحدة؟ قلنا: يقضى بعموم الكتاب على خبر الواحد، كيف والمروي أنهم ينزلون فوجًا فوجًا، فمن نازل وصاعد كأهل الحج، فإنهم على كثرتهم يدخلون الكعبة بالكلية لكن الناس بين داخل وخارج، ولهذا السبب مُدت إلى غاية طلوع الفجر فلذلك ذكر بلفظ: ﴿تَنَزَّلُ﴾ الذي يفيد المرة بعد المرة.

والقول الثاني: وهو اختيار الأكثرين أنهم ينزلون إلى الأرض وهو الأَوْجه؛ لأن الغرض هو الترغيب في إحياء هذه الليلة، ولأنه دلت الأحاديث على أن الملائكة ينزلون في سائر الأيام إلى مجالس الذكر والدين، فلأن يحصل ذلك في هذه الليلة مع علو شأنها أَوْلى، ولأن النزول المطلق لا يفيد إلا النزول من السماء إلى الأرض.

ثم اختلف من قال: (ينزلون إلى الأرض) على وجوه: **أحدها:** قال بعضهم: ينزلون ليروا عبادة البشر وحدهم واجتهادهم في الطاعة. **وثانيها:** أن الملائكة قالوا: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤] فهذا يدل على أنهم كانوا مأمورين بذلك النزول فلا يدل على غاية المحبة.

وأما هذه الآية وهو قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ فإنها تدل على أنهم استأذنوا أولاً فأذنوا، وذلك يدل على غاية المحبة، لأنهم كانوا يرغبون إلينا ويتمنون لقاءنا، لكن كانوا ينتظرون الإذن، فإن قيل: قوله:

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات: ١٦٥] ينافي قوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ **قلنا:** نصرف الحالتين إلى زمانين مختلفين. **وثالثها:** أنه تعالى وعد في الآخرة أن الملائكة: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] فههنا في الدنيا إن اشتغلت بعبادتي نزلت الملائكة عليك حتى يدخلوا عليك للتسليم والزيارة، روى عن علي عليه السلام: «أَنَّهُمْ يَنْزِلُونَ لِيُسَلِّمُوا عَلَيْنَا وَلِيَشْفَعُوا لَنَا فَمَنْ أَصَابَتْهُ التَّسْلِيمَةُ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ». **ورابعها:** أن الله تعالى جعل فضيلة هذه الليلة في الاشتغال بطاعته في الأرض، فهم ينزلون إلى الأرض لتصير طاعاتهم أكثر ثوابًا، كما أن الرجل يذهب إلى مكة لتصير طاعته هناك أكثر ثوابًا، وكل ذلك ترغيب للإنسان في الطاعة. **وخامسها:** أن الإنسان يأتي بالطاعات والخيرات عند حضور الأكابر من العلماء والزهاد أحسن مما يكون في الخلوة، فالله تعالى أنزل الملائكة المقربين حتى أن المكلف يعلم أنه إنما يأتي بالطاعات في حضور أولئك العلماء العباد الزهاد فيكون أتم وعن النقصان أبعد. **وسادسها:** أن من الناس من خص لفظ الملائكة ببعض فرق الملائكة، عن كعب أن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة مما يلي الجنة، فهي على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة، وساقها في الجنة وأغصانها تحت الكرسي، فيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله، يعبدون الله ومقام جبريل في وسطها، ليس فيها ملك إلا وقد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين، ينزلون مع جبريل ليلة القدر، فلا تبقى بقعة من الأرض إلا وعليها ملك ساجد أو قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات، وجبريل لا يدع أحدًا من الناس إلا صافحهم، وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه، فإن ذلك من مصافحة جبريل عليه السلام، من قال فيها ثلاث مرات: (لا إله إلا الله) غُفر له بواحدة، ونجاه من النار بواحدة، وأدخله الجنة بواحدة، وأول من يصعد جبريل حتى يصير أمام الشمس فيبسط جناحين أخضرين لا ينشرهما إلا تلك الساعة من تلك الليلة، ثم يدعو ملكًا ملكًا، فيصعد الكل ويجتمع نور الملائكة ونور جناح جبريل عليه السلام، فيقيم جبريل ومن معه من الملائكة بين الشمس وسماء الدنيا يومهم ذلك مشغولين بالدعاء والرحمة والاستغفار للمؤمنين، ولمن صام رمضان احتسابًا، فإذا أمسوا دخلوا سماء الدنيا فيجلسون حلقًا حلقًا، فتجمع إليهم ملائكة السماء فيسألونهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة، حتى يقولوا: ما فعل فلان وكيف وجدتموه؟ فيقولون: وجدناه عام أول متعبدًا، وفي هذا العام مبتدعًا، وفلان كان عام أول مبتدعًا، وهذا العام متعبدًا. فيكفون عن الدعاء للأول، ويشتغلون بالدعاء للثاني، ووجدنا فلانًا تاليًا، وفلانًا راكعًا، وفلانًا ساجدًا. فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدوا السماء الثانية، وهكذا يفعلون في كل سماء حتى ينتهوا إلى السدرة فتقول لهم السدرة: يا سكاني حدثوني عن الناس فإن لي عليكم حقًّا، وإني أحب من أحب الله. فذكر كعب أنهم يعدون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم، ثم يصل ذلك الخبر إلى الجنة، فتقول الجنة: اللهم عجلهم إليَّ. والملائكة وأهل السدرة يقولون: آمين آمين.

إذا عرفت هذا فنقول: كلما كان الجمع أعظم، كان نزول الرحمة هناك أكثر، ولذلك فإن أعظم الجموع في موقف الحج، لا جرم كان نزول الرحمة هناك أكثر، فكذا في ليلة القدر يحصل مجمع الملائكة المقربين، فلا جرم كان نزول الرحمة أكثر.

المسألة الثالثة: ذكروا في الروح أقوالاً: **أحدها:** أنه ملك عظيم، لو التقم السموات والأرضين كان ذلك له لقمة واحدة. **وثانيها:** طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا ليلة القدر، كالزهاد الذين لا نراهم إلا يوم العيد. **وثالثها:** خلق من خلق الله يأكلون ويلبسون، ليسوا من الملائكة ولا من الإنس، ولعلهم خدم أهل الجنة. **ورابعها:** يحتمل أنه عيسى عليه السلام لأنه اسمه، ثم إنه ينزل في مواقفة الملائكة ليطلع على أمة محمد وخامسها: أنه القرآن: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى: ٥٢] **وسادسها:** الرحمة قرئ: (لا تيأسوا من رُوح الله) بالرفع، كأنه تعالى يقول: الملائكة ينزلون ورحمتي تنزل في أثرهم فيجدون سعادة الدنيا وسعادة الآخرة. **وسابعها:** الروح أشرف الملائكة. **وثامنها:** عن أبي نجيح: الروح هم الحفظة والكرام الكاتبون، فصاحب اليمين يكتب إتيانه بالواجب، وصاحب الشمال يكتب تركه للقبيح. والأصح أن الروح ههنا جبريل. وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه كأنه تعالى يقول: الملائكة في كفة والروح في كفة.

أما قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ فقد ذكرنا أن هذا يدل على أنهم كانوا مشتاقين إلينا، **فإن قيل:** كيف يرغبون إلينا مع علمهم بكثرة معاصينا؟ **قلنا:** إنهم لا يقفون على تفصيل المعاصي، روي أنهم يطالعون اللوح، فيرون فيه طاعة المكلف مفصلة، فإذا وصلوا إلى معاصيه أرخى الستر فلا يرونها، فحينئذٍ يقول: سبحان من أظهر الجميل، وستر على القبيح.

ثم قد ذكرنا فوائد في نزولهم ونذكر الآن فوائد أخرى، وحاصلها أنهم يرون في الأرض من أنواع الطاعات أشياء ما رأوها في عالم السموات: **أحدها:** أن الأغنياء يجيئون بالطعام من بيوتهم فيجعلونه ضيافة للفقراء، والفقراء يأكلون طعام الأغنياء ويعبدون الله، وهذا نوع من الطاعة لا يوجد في السموات. **وثانيها:** أنهم يسمعون أنين العصاة وهذا لا يوجد في السموات. **وثالثها:** أنه تعالى قال: «لَأَنِينُ الْمُذْنِبِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ زَجَلِ الْمُسَبِّحِينَ»[1] فقالوا: تعالوا نذهب إلى الأرض فنسمع صوتًا هو أحب إلى ربنا من صوت تسبيحنا. وكيف لا يكون أحب وزجل المسبحين إظهار لكمال حال المطيعين، وأنين العصاة إظهار لغفارية رب الأرض والسموات **(وهذه هي المسألة الأولى)**.

المسألة الثانية: هذه الآية دالة على عصمة الملائكة، ونظيرها قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[مريم: ٦٤] وقوله: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾[الأنبياء: ٢٧] وفيها دقيقة وهي أنه تعالى لم يقل: مأذونين بل قال: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ وهو إشارة إلى أنهم لا يتصرفون تصرفًا ما إلا بإذنه، ومن ذلك

---

(١) أورده العجلوني في (كشف الخفا) (١/ ٣٠٥) حديث رقم (٨٠٥) ولم أجد له إسنادًا ولعله من كلام الصوفية كما قال بعض العلماء.

قول الرجل لامرأته: (إن خرجت إلا بإذني) فإنه يعتبر الإذن في كل خرجة.

المسألة الثالثة: قوله: ﴿رَبِّهِم﴾ يفيد تعظيمًا للملائكة وتحقيرًا للعصاة، كأنه تعالى قال: كانوا لي فكنت لهم، ونظيره في حقنا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال لمحمد عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ [البقرة: ٣٠] ونظيره ما روي أن داود لما مرض مرض الموت قال: إلهي كن لسليمان كما كنت لي. فنزل الوحي وقال: قل لسليمان فليكن لي كما كنتَ لي. وروي عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه فقد الضيف أيامًا، فخرج بالسفرة ليلتمس ضيفًا فإذا بخيمة، فنادى: أتريدون الضيف؟ فقيل: نعم. فقال للمضيف: أيوجد عندك إدام لبن أو عسل؟ فرفع الرجل صخرتين فضرب إحداهما بالأخرى فانشقا فخرج من إحداهما اللبن ومن الأخرى العسل، فتعجب إبراهيم وقال: إلهي أنا خليلك ولم أجد مثل ذلك الإكرام، فما له؟ فنزل الوحي: يا خليلي كان لنا فكنا له.

أما قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ فمعناه تنزل الملائكة والروح فيها من أجل كل أمر، والمعنى أن كل واحد منهم إنما نزل لمهم آخر، ثم ذكروا فيه وجوهًا: **أحدها**: أنهم كانوا في أشغال كثيرة فبعضهم للركوع، وبعضهم للسجود، وبعضهم للدعاء، وكذا القول في التفكر والتعليم، وإبلاغ الوحي، وبعضهم لإدراك فضيلة الليلة أو ليسلموا على المؤمنين. **وثانيها**: -وهو قول الأكثرين- من أجل كل أمر قُدر في تلك السنة من خير أو شر، وفيه إشارة إلى أن نزولهم إنما كان عبادة، فكأنهم قالوا: ما نزلنا إلى الأرض لهوى أنفسنا، لكن لأجل كل أمر فيه مصلحة المكلفين. وعم لفظ الأمر ليعم خير الدنيا والآخرة بيانًا منه أنهم ينزلون بما هو صلاح المكلف في دينه ودنياه، كأن السائل يقول: من أين جئت؟ فيقول: مالك وهذا الفضول؟! ولكن قل: لأي أمر جئت لأنه حظك. **وثالثها**: قرأ بعضهم: (من كل امرئ) أي من أجل كل إنسان، وروي أنهم لا يلقون مؤمنًا ولا مؤمنة إلا سلَّموا عليه، **فإن قيل**: أليس أنه قد روي أنه تقسم الآجال والأرزاق ليلة النصف من شعبان، والآن تقولون: إن ذلك يكون ليلة القدر؟ **قلنا**: عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللَّهَ يُقَدِّرُ الْمَقَادِيرَ فِي لَيْلَةِ الْبَرَاءَةِ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ يُسَلِّمُهَا إِلَى أَرْبَابِهَا**»[1] وقيل: يقدر ليلة البراءة الآجال والأرزاق، وليلة القدر يقدر الأمور التي فيها الخير والبركة والسلامة، وقيل: يقدر في ليلة القدر ما يتعلق به إعزاز الدين، وما فيه النفع العظيم للمسلمين، وأما ليلة البراءة فيكتب فيها أسماء من يموت ويُسلم إلى ملك الموت.

قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

الوجه الثالث من فضائل هذه الليلة: قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾، **وفيه مسائل**:

المسألة الأولى: في قوله ﴿سَلَٰمٌ﴾ وجوه: **أحدها**: أن ليلة القدر إلى طلوع الفجر سلام، أي

---

(١) لم أجده.

تسلم الملائكة على المطيعين، وذلك لأن الملائكة ينزلون فوجًا فوجًا من ابتداء الليل إلى طلوع الفجر، فترادف النزول لكثرة السلام. **وثانيها:** وصفت الليلة بأنها سلام، ثم يجب أن لا يستحقر هذا السلام لأن سبعة من الملائكة سلموا على الخليل في قصة العجل الحنيذ، فازداد فرحه بذلك على فرحه بمُلك الدنيا، بل الخليل لما سلم الملائكة عليه صار نار نمروذ عليه ﴿بَرْدًا وَسَلَـٰمًا﴾ [الأنبياء: ٦٩] أفلا تصير ناره تعالى ببركة تسليم الملائكة علينا بردًا وسلامًا، لكن ضيافة الخليل لهم كانت عجلاً مشويًا وهم يريدون منا قلبًا مشويًا، بل فيه دقيقة، وهي إظهار فضل هذه الأمة، فإن هناك الملائكة نزلوا على الخليل، وههنا نزلوا على أمة محمد ﷺ. **وثالثها:** أنه سلام من الشرور والآفات، أي سلامة، وهذا كما يقال: (إنما فلان حج وغزو) أي هو أبدًا مشغول بهما، ومثله:

فَـإِنَّـمَـا هِـيَ إِقْـبَـالٌ وَإِدْبَـارُ(١)

وقالوا: تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالخيرات والسعادات، ولا ينزل فيها من تقدير المضار شيء، فما ينزل في هذه الليلة فهو سلام، أي سلامة ونفع وخير. **ورابعها:** قال أبو مسلم: سلام، أي الليلة سالمة عن الرياح والأذى والصواعق إلى ما شابه ذلك. **وخامسها:** سلام لا يستطيع الشيطان فيها سوءًا. **وسادسها:** أن الوقف عند قوله: (من كل أمر سلام) فيتصل السلام بما قبله ومعناه أن تقدير الخير والبركة والسلامة يدوم إلى طلوع الفجر، وهذا الوجه ضعيف. **وسابعها:** أنها من أولها إلى مطلع الفجر سالمة في أن العبادة في كل واحد من أجزائها خير من ألف شهر ليست كسائر الليالي في أنه يستحب للفرض الثلث الأول وللعبادة النصف وللدعاء السحر، بل هي متساوية الأوقات والأجزاء. **وثامنها:** سلام هي، أي جنة هي لأن من أسماء الجنة دار السلام، أي الجنة المصوغة من السلامة.

المسألة الثانية: المَطلع الطلوع، يقال: طلع الفجر طلوعًا ومطلعًا، والمعنى أنه يدوم ذلك السلام إلى طلوع الفجر، ومن قرأ بكسر اللام فهو اسم لوقت الطلوع، وكذا مكان الطلوع مطلع، قاله الزجاج، أما أبو عبيدة والفراء وغيرهما فإنهم اختاروا فتح اللام لأنه بمعنى المصدر، وقالوا: الكسر اسم نحو المشرق ولا معنى لاسم موضع الطلوع ههنا، بل إن حُمل على ما ذكره الزجاج من اسم وقت الطلوع صح، قال أبو علي: ويمكن حمله على المصدر أيضًا؛ لأن من المصادر التي ينبغي أن تكون على المفعل ما قد كسر، كقولهم علاء المكبر والمعجز، قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فكذلك كسر المطلع جاء شاذًا عما عليه بابه.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) هذا شطر بيت للخنساء، وتقدمت ترجمتها.

سورة «القَدْر»

وهي مَدَنيةٌ في قولِ أكثرِ المفسِّرين؛ ذكره الثعلبيُّ. وحكى الماوَرْدِيُّ عكسَه[1].

قلت: وهي مدنيةٌ في قول الضحَّاك، وأحدِ قولي ابنِ عباس[2]. وذكر الواقِدِيُّ أنها أوّلُ سورةٍ نزلت بالمدينة[3]. وهي خمسُ آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني القرآنَ وإنْ لم يَجْرِ له ذِكرٌ في هذه السورة؛ لأنَّ المعنى معلوم، والقرآنُ كلُّه كالسورة الواحدة. وقد قال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال: ﴿حمٓ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ١-٣]، يريد: في[4] ليلة القَدْرِ. وقال الشعبيُّ: المعنى: إنَّا ابتدأنا إنزالَه في ليلة القدر[5].

وقيل: بل نزل به جبريلُ عليه السلام جملةً واحدةً في ليلة القَدْرِ من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، إلى بيتِ العزة، وأملاه جبريلُ على السَّفَرة، ثم كان جبريل يُنزلُه على النبيِّ ﷺ نُجوماً نجوماً. وكان بين أوّله وآخِره ثلاثٌ وعشرون سنةً؛ قاله ابن عباس، وقد تقدَّم في سورة البقرة[6].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣١١ ، وحكى قول الثعلبي ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ١٨١ .

(٢) ذكره عن ابن عباس ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٤ ، وعن الضحاك الماوردي ٦/ ٣١١ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣١١ .

(٤) قوله: في، ليس في (ظ).

(٥) الكشاف ٤/ ٢٧٣ ، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٥٤٣ .

(٦) ينظر ٣/ ١٦٠ - ١٦١ ، وكذلك ١/ ٩٨ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٥٤٢ .

وحكى الماوَرْدِيُّ[١] عن ابن عباس قال: نزل القرآن في شهر رمضانَ، وفي ليلة القدر، في ليلةٍ مباركةٍ، جملةً واحدةً من عند الله، من اللوح المحفوظ إلى السَّفَرة الكرامِ الكاتبين في السماء الدنيا، فنجَّمته السفرةُ الكرامُ الكاتبون على جبريل عشرين سنةً، ونجَّمه جبريل على النبيِّ ﷺ عشرين سنة. قال ابن العَرَبيِّ[٢]: وهذا باطلٌ؛ ليس بين جبريلَ وبين الله واسطةٌ، ولا بين جبريلَ ومحمدٍ عليهما السلام واسطةٌ.

قوله تعالى: ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال مجاهد: في ليلة الحُكْم. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ قال: ليلة الحكم[٣]. والمعنى: ليلة التقدير، سمِّيتْ بذلك لأنَّ الله تعالى يقدِّر فيها ما يشاء من أمره، إلى مِثْلِها من السنة القابِلَةِ؛ من أمر الموتِ والأَجَلِ والرِّزقِ وغيره. ويُسْلِمُه إلى مدبِّرات الأمور، وهم أربعةٌ من الملائكة: إسرافيلُ، وميكائيلُ، وعزرائيلُ، وجبريلُ، عليهم السلام[٤].

وعن ابن عباس قال: يُكْتَب من أمِّ الكتاب ما يكونُ في السنةِ من رزقٍ ومطرٍ وحياةٍ وموت، حتى الحاجُّ[٥]. قال عكرمةُ: يُكتبُ حاجُّ بيتِ الله تعالى في ليلة القَدْرِ بأسمائهم وأسماءِ آبائهم، ما يُغادَر منهم أحدٌ، ولا يُزادُ فيهم[٦]. وقاله سعيد بن جبير[٧]. وقد مضى في أوّل سورة الدخان هذا المعنى[٨].

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ٣١٢.

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٩٥٠.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٦، وابن أبي شيبة ٢/ ٥١٥، والطبري ٢٤/ ٥٤٤.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٦٩، ويشير إلى خبر عبد الرحمن بن سابط الذي سلف عند تفسير الآية (٥) من سورة السجدة، والآية (٥) من سورة النازعات.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٥، وعزاه لمحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم، وسلف ١٩/ ١٠٢.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٥، وعزاه لابن أبي شيبة ومحمد بن نصر وابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٤٤.

(٨) ١٩/ ١٠٢.

وعن ابن عباس أيضاً: أنَّ الله تعالى يقضي الأقضيةَ في ليلةِ نصف شعبان، ويُسْلمُها إلى أربابها في ليلة القَدْرِ[١].

وقيل: إنَّما سمِّيت بذلك لِعظَمِها وقَدْرِها وشَرَفها؛ من قولهم: لفلانٍ قَدْرٌ، أي: شرفٌ ومنزلة. قاله الزُّهرِيُّ وغيرُه[٢].

وقيل: سُمِّيتْ بذلك لأنَّ للطاعات فيها قَدْراً عظيماً، وثواباً جزيلاً.

وقال أبو بكر الورَّاق: سمِّيت بذلك لأنَّ مَن لم يكن له قَدْرٌ ولا خطرٌ يصير في هذه الليلة ذا قَدْرٍ إذا أحياها[٣].

وقيل: سمِّيتْ بذلك لأنه أُنزل فيها كتاباً ذا قدرٍ، على رسولٍ ذي قَدْرٍ، على أمةٍ ذاتِ قَدْرٍ.

وقيل: لأنه ينزلُ فيها ملائكةٌ ذوو قَدْرٍ وخَطَر.

وقيل: لأنَّ الله تعالى ينزلُ فيها الخيرَ والبركةَ والمغفرة.

وقال سهل: سمِّيتْ بذلك لأنَّ الله تعالى قدَّر فيها الرحمةَ على المؤمنين.

وقال الخليل: لأنَّ الأرضَ تَضيقُ فيها بالملائكة، كقوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] أي: ضُيِّق[٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾

قال الفرَّاء[٥]: كلُّ ما في القرآن من قوله تعالى: «وما أَدْرَاكَ» فقد أدراه، وما كان من قوله: «وما يُدْرِيك» فلم يُدْرِه. وقاله سفيان، وقد تقدَّم[٦].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٤٩ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥ ، وزاد المسير ٩/ ١٨٢ عن الزهري، والنكت والعيون ٦/ ٣١٢ عن ابن عيسى.

(٣) ذكره بنحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ١٨٢ .

(٤) زاد المسير ٩/ ١٨٢ .

(٥) في معاني القرآن ٣/ ٢٨٠ .

(٦) عند تفسير الآية (٣) من سورة الحاقة، والآية (٣) من سورة الطارق.

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ بيَّنَ[١] فَضْلَها وعِظَمَها. وفضيلةُ[٢] الزمانِ إنَّما تكونُ بكَثْرةِ ما يقع فيه من الفضائل. وفي تلك الليلةِ يُقْسَمُ الخيرُ الكثيرُ الذي لا يوجدُ مثلُه في ألفِ شهرٍ. والله أعلم.

وقال كثيرٌ من المفسِّرين: أي: العملُ فيها خيرٌ من العمل في ألفِ شهرٍ ليس فيها ليلةُ القدرِ، وقال أبو العالية: ليلةُ القَدْرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ لا تكونُ فيه ليلةُ القَدْرِ[٣].

وقيل: عنَى بألفِ شهرٍ جميعَ الدهر؛ لأنَّ العرب تذكُر الأَلْفَ في غاية الأشياء، كما قال تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [البقرة:٩٦] يعني جميعَ الدهر.

وقيل: إنَّ العابد كان فيما مضى لا يسمَّى عابداً حتى يعبدَ الله ألفَ شهرٍ؛ ثلاثاً وثمانين سنةً وأربعةَ أشهرٍ، فجعل الله تعالى لأمةِ محمدٍ ﷺ عبادةَ ليلةٍ خيراً من ألفِ شهرٍ كانوا يعبدونها.

وقال أبو بكر الورَّاق: كان مُلْكُ سليمان خمسَ مئةِ شهرٍ، وملكُ ذي القرنين خمسَ مئة شهرٍ، فصار مُلْكُهما ألفَ شهرٍ، فجعل الله تعالى العملَ في هذه الليلةِ لمَن أدركها خيراً من مُلْكِهما[٤].

وقال ابن مسعود: إنَّ النبيَّ ﷺ ذَكَر رجلاً من بني إسرائيلَ لَبِسَ السلاح في سبيل الله ألفَ شهر، فعَجِبَ المسلمون من ذلك، فنزلت: «إنّا أَنْزَلْنَاه» الآية، «خَيْرٌ مِن أَلفِ شَهرٍ»، التي لبِس فيها الرجلُ سلاحَه في سبيل الله. ونحوه عن ابن عباس[٥].

وهب بن منبه: إنَّ ذلك الرجلَ كان مسلماً، وإنَّ أمَّه جعلته نَذْراً لله، وكان من قريةِ قومٍ يعبدون الأصنامَ، وكان يسكنُ قريباً منها، فجعل يغزوهم وحدَه، ويقتلُ

---

(١) في (ظ): من.

(٢) في (ظ): وكثرة.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٦، والطبري ٢٤/ ٥٤٦ عن قتادة واختاره، ولم نقف عليه عن أبي العالية.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣١٣ دون نسبة.

(٥) الوسيط ٤/ ٥٣٧، وتفسير البغوي ٤/ ٥١٢، وزاد المسير ٩/ ١٩١ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه البيهقي ٤/ ٣٠٦ من طريق مجاهد عن النبي ﷺ مرسلاً، ولم نقف عليه عن ابن مسعود ﷺ.

ويَسْبي ويجاهد، وكان لا يلقاهم إلّا بِلَحْيَيْ بعيرٍ، وكان إذا قاتلهم وقاتلوه وعطِش، انفجر له من اللَّحيين ماءٌ عَذْبٌ، فيشربُ منه، وكان قد أُعطِي قوّةً في البطش، لا يُوجِعُه حديدٌ ولا غيره، وكان اسمُه شَمْسُون.

وقال كعبُ الأحبارِ: كان رجلاً ملِكاً في بني إسرائيل، ففعل خَصْلةً واحدةً، فأوحَى الله إلى نَبيِّ زمانهم: قل لفلانٍ يتمنَّى. فقال: يا رب، أتمنَّى أن أُجاهد بمالي وولدي ونَفْسي، فرزَقه الله ألفَ ولدٍ، فكان يُجهِّز الولد بماله في عسكرٍ ويُخْرِجُه مجاهداً في سبيل الله، فيقومُ شهراً ويُقتلُ ذلك الولد، ثم يجهِّزُ آخَرَ بماله في عسكر، فكان كلُّ ولدٍ يقتل في الشهر، والملِكُ مع ذلك قائمُ الليلِ، صائمُ النهار، فقُتِل الألْفُ وَلدٍ في ألفِ شهر، ثم تقدَّم فقاتل فقُتِل. فقال الناس: لا أحدَ يدركُ منزلةَ هذا الملك، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ من شهور ذلك الملك، في القيام والصيام والجهاد بالمال والنفسِ والأولاد في سبيل الله.

وقال علي بن عروة[(١)]: ذكر النبيُّ ﷺ أربعةً من بني إسرائيلَ، فقال: «عَبَدوا الله ثمانينَ سنة، لم يَعْصُوه طرفةَ عينٍ»؛ فذَكَر أيوبَ، وزكرِيّا، وحِزقيل بن العجوز، ويُوشَع بن نون، فعَجِبَ أصحابُ النبيِّ ﷺ من ذلك. فأتاه جبريل فقال: يا محمدُ، عَجِبَتْ أمّتك من عبادةِ هؤلاء النَّفَرِ ثمانين سنةً لم يعصوا الله طرفةَ عين، فقد أنزل الله عليك خيرًا من ذلك، ثم قرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾. فسُرَّ بذلك رسولُ الله ﷺ.

وقال مالكٌ في «الموطّأ» من رواية ابن القاسم وغيره: سمعتُ مَن أَثِقُ به يقول: إنَّ رسول الله ﷺ أُرِي أعمارَ الأُمم قبلَه، فكأنه تقاصَرَ أعمارَ أمَّتِه ألَّا يبلغوا من العمل مثلَ ما بلغ غيرُهم في طول العمر، فأعطاه الله تعالى ليلةَ القدرِ، وجعلها خيراً من ألفِ شهرٍ[(٢)].

---

(١) في النسخ: وقال علي وعروة، والمثبت من تفسير ابن كثير عند هذه الآية، والدر المنثور ٦/ ٣٧١ ، وقد عزاه ابن كثير والسيوطي لابن أبي حاتم، وهو من طريق مسلمة بن علي عن علي بن عروة، وهما متروكان، كما ذكر الحافظ في التقريب.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٥٠ ، والخبر في الموطأ ١/ ٣٢١ . قال ابن عبد البر في التمهيد =

وفي الترمذيِّ عن الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ أُرِي بني أميةَ على منبره، فساءَه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ يعني نهراً في الجنة. ونزلت ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ . وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ . لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يملكُها بعدك بنو أمية. قال القاسم بن الفضل الحُدَّانيُّ: فعدَدْناها، فإذا هي ألفُ شهرٍ، لا تزيدُ يوماً، ولا تنقُص يوماً. قال: حديثٌ غريب(١).

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: تهبطُ من كلِّ سماءٍ، ومن سِدْرةِ المنتهى، ومسكنُ جبريلَ على وسطها. فينزلون إلى الأرض ويؤمِّنون على دعاء الناس، إلى وقت طلوع الفجر، فذلك قولُه تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

﴿وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ أي: جبريلُ عليه السلام. وحكى القُشَيرِيُّ: أنَّ الرُّوح صِنفٌ من الملائكة، جُعِلوا حفَظَةً على سائرهم، وأنَّ الملائكة لا يرونهم، كما لا نرى نحن الملائكة.

وقال مقاتل: هم أشرفُ الملائكةِ وأقربُهم من الله تعالى.

وقيل: إنَّهم جندٌ من جند الله عزَّ وجلَّ من غيرِ الملائكة. رواه مجاهدٌ عن ابن عباس مرفوعًا؛ ذكره الماوَرْدِيُّ(٢).

وحكى القشيريُّ: قيل: هم صِنفٌ من خَلْقِ الله يأكلون الطعام، ولهم أيْدٍ وأرجلٌ؛ وليسوا ملائكةً.

وقيل: «الرُّوح»: خَلْقٌ عظيمٌ يقومُ صفًّا، والملائكةُ كلُّهم صفًّا.

= ٢٤/٣٧٣: لا أعلم هذا الحديث يروى مسنداً من وجه من الوجوه، ولا أعرفه في غير الموطأ مرسلاً ولا مسنداً، وهذا أحد الأحاديث التي انفرد بها مالك.

(١) سنن الترمذي (٣٣٥٠) والقاسم بن الفضل هو أحد رجال الإسناد. قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا الحديث منكر جدًّا.

(٢) في النكت والعيون ٦/٣١٣، وقد سلف عند تفسير الآية (٣٨) من سورة عم.

وقيل: «الرُّوح»: الرحمةُ ينزل بها جبريلُ عليه السلام مع الملائكة في هذه الليلة على أهلها، دليله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢] أي: بالرحمة[١].

﴿فِيهَا﴾ أي: في ليلةِ القدر. ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ أي: بأمره. ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾: أي: بكلِّ أمرٍ قدَّره الله وقضاه في تلك السنة إلى قابلٍ؛ قاله ابن عباس[٢]؛ كقوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] أي: بأمرِ الله.

وقراءةُ العامَّة: «تَنَزَّلُ» بفتح التاء، إلَّا أنَّ البزِّيَّ شدَّد التاء[٣]. وقرأ طلحةُ بن مُصرِّف وابن السَّميفَع بضمِّ التاءِ على الفعل المجهول[٤].

وقرأ عليٌّ وابنُ عباس وعِكرمةُ والكلبيُّ: «مِن كلِّ امْرِئٍ»[٥]. وروي عن ابن عباس أنَّ معناه: من كلِّ مَلَكٍ[٦]. وتأوَّلها الكلبيُّ على أنَّ جبريل ينزلُ فيها مع الملائكة، فيسلِّمون على كلِّ امرئٍ مسلمٍ، فـ «مِن» بمعنى على[٧]. وعن أنس قال: قال النبيُّ ﷺ: «إذا كان ليلة القَدْرِ نزلَ جبريلُ في كَبْكبةٍ من الملائكة، يُصلُّون ويسلِّمون على كلِّ عبدٍ قائمٍ أو قاعدٍ يذكُر الله تعالى»[٨].

قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

قيل: إنَّ تمامَ الكلامِ: «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ»، ثم قال: «سلام»؛ رُوِي ذلك عن نافعٍ

(١) النكت والعيون ٦/ ٣١٤.

(٢) ذكره ابن الجوزي ٩/ ١٩٣ عن المفسرين.

(٣) أي: في حال الوصل. التيسير ص ٨٣.

(٤) لم نقف عليها عند غير المصنف.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٧٦ عن ابن عباس، والمحتسب ٢/ ٣٦٨ عن ابن عباس وعكرمة والكلبي.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٦.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٣١٤، وزاد المسير ٩/ ١٩٣، قال ابن الجوزي: هي كقوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ [الأنبياء: ٧٧].

(٨) أخرجه مطولاً البيهقي في الشعب (٣٧١٧). وفي إسناده أصرم بن حوشب، قال عنه يحيى: كذاب خبيث، وقال البخاري ومسلم والنسائي: متروك. وقال الدارقطني: منكر الحديث. الميزان ١/ ٢٧٢.

وغيره، أي: ليلةُ القدرِ سلامةٌ وخيرٌ كلُّها لا شرَّ فيها، «حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ» أي: إلى طلوع الفجر. قال الضحاك: لا يقدِّرُ الله في تلك الليلةِ إلَّا السلامةَ، وفي سائرِ الليالي يقضي بالبلايا والسلامة[١].

وقيل: أي: هي سلامٌ، أي: ذاتُ سلامةٍ من أنْ يؤثِّر فيها شيطانٌ في مؤمنٍ ومؤمنةٍ. وكذا قال مجاهد: هي ليلةٌ سالمةٌ، لا يستطيعُ الشيطانُ أن يعمل فيها سوءاً ولا أذًى[٢]. وروي مرفوعًا[٣].

وقال الشعبيُّ: هو تسليمُ الملائكةِ على أهلِ المساجد، من حينِ تغيبُ الشمسُ إلى أنْ يطلعَ الفجر، يمرُّون على كلِّ مؤمنٍ، ويقولون: السلامُ عليك أيُّها المؤمن[٤].

وقيل: يعني سلامَ الملائكةِ بعضِهم على بعضٍ فيها.

وقال قتادةُ: «سَلَامٌ هي» خيرٌ هي، «حتى مَطْلَعِ الفجرِ» أي: إلى مطلع الفجر[٥].

وقرأ الكسائيُّ وابنُ مُحَيصِنٍ: «مَطلِع» بكسرِ اللَّامِ، الباقونَ بالفتح[٦]. والفتحُ والكسرُ لغتان في المصدر. والفتحُ الأصلُ في فَعَلَ يَفْعُلُ، نحو المَقْتَل والمَخْرَج. والكسرُ على أنه ممَّا شذَّ عن قياسه، نحو المَشْرِق والمَغْرِب والمَنْبِت والمَسْكِن والمَنْسِك والمَحْشِر والمَسْقِط والمَجْزِر. حكي في ذلك كلِّه الفتحُ والكسر، على أنْ يُراد به المصدرُ لا الاسم.

وهنا ثلاثُ مسائلَ:

الأولى: في تعيينِ ليلة القدر، وقد اختلف العلماءُ في ذلك. والذي عليه المُعْظَمُ أنَّها ليلةُ سبعٍ وعشرين؛ لحديثِ زِرّ بنِ حُبَيْش قال: قلتُ لأبيّ بنِ كعب: إنَّ أخاك

(١) ذكره البغوي ٤/ ٥١٢ دون قوله: وفي سائر الليالي...

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٥١٢ . وأخرجه سعيد بن منصور، كما ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية.

(٣) سيأتي ص٤٠٣ من هذا الجزء.

(٤) أخرجه بنحوه سعيد بن منصور، كما ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٦ ، والطبري ٤/ ٥٤٨ - ٥٤٩ .

(٦) السبعة ص ٦٩٣ ، والتيسير ص ٢٢٤ عن الكسائي.

عبدَ الله بنَ مسعودٍ يقول: مَن يَقُمِ الحَوْلَ يُصِبْ ليلةَ القدر. فقال: يَغفِرُ الله لأبي عبدِ الرحمن! لقد عَلِم أنها في العَشْرِ الأواخِرِ من رمضان، وأنَّها ليلةُ سبعٍ وعشرين، ولكنَّه أراد ألَّا يَتَّكِلَ الناس، ثم حلف لا يستثني: أنَّها ليلةُ سبعٍ وعشرين. قال: قلت: بأيِّ شيءٍ تقولُ ذلك يا أبا المنذر؟ قال: بالآية التي أَخْبرَنا بها رسولُ الله ﷺ - أو بالعلامة - أنَّ الشمسَ تَطْلُعُ يومئذٍ لا شُعاعَ لها. قال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيح. وخرَّجه مسلم(١).

وقيل: هي في شهرِ رمضانَ دونَ سائرِ العام؛ قاله أبو هريرةَ وغيرُه(٢).

وقيل: هي في ليالي السنةِ كلِّها. فَمَن علَّق طلاقَ امرأتِه أو عِتْقَ عبدِه بليلةِ القدرِ، لم يقع العِتقُ والطلاقُ إلَّا بعد مُضِيِّ سنةٍ من يوم حَلَف(٣)؛ لأنه لا يجوزُ إيقاعُ الطلاقِ بالشكِّ، ولم يَثْبتِ اختصاصُها بوقتٍ؛ فلا ينبغي وقوعُ الطلاقِ إلَّا بمضيِّ حَوْلٍ(٤)، وكذلك العِتقُ وما كان مِثلَه من يمينٍ أو غيره. وقال ابن مسعود: مَن يَقُمِ الحولَ يُصِبْها، فبلغ ذلك ابنَ عمر، فقال: يرحمُ الله أبا عبدِ الرحمن! أمَا إنَّه عَلِم أنها في العشر الأواخِرِ من شهر رمضان، ولكنَّه أراد ألَّا يتَّكِلَ الناس(٥). وإلى هذا القولِ ذهب أبو حنيفةَ: أنَّها في جميع السنة(٦). وقيل عنه: أنها رُفِعَتْ - يعني ليلةَ القدر - وأنها إنَّما كانت مرةً واحدة. والصحيحُ أنَّها باقيةٌ(٧).

---

(١) برقم (٧٦٢)، ص ٨٢٨، وهو عند الترمذي (٣٣٥١)، وأخرجه أحمد (٢١١٩٣).

(٢) أخرجه عن أبي هريرة عبد الرزاق في المصنف (٧٧٠٧)، وأخرجه (٧٧٠٨) عن ابن عباس، وذكره ابن عبد البر في التمهيد ٢/ ٢٠٨ عن ابن عمر وأبي ذر وأبي هريرة وابن عباس.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٥١٠.

(٤) أحكام القرآن للكيا الطبري ٣/ ٤٣١.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٥١٠، ومجمع البيان ٣٠/ ١٩٣، وقد سلف قريباً قول ابن مسعود في حديث أبيٍّ أيضاً.

(٦) ذكره الجوزجاني عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد، كما في التمهيد ٢/ ٢٠٨.

(٧) وذكر القول عن أبي حنيفة ابن عطية في المحرر ٥/ ٥٠٥ وقال: هذا قول مردود، وإنما رفع تعيينها.

وروي عن ابن مسعود أيضاً: أنَّها إذا كانت في يومٍ من هذه السنة، كانت في العام المقبلِ في يومٍ آخَر.

والجمهورُ على أنَّها في كلِّ عامٍ من رمضانَ، ثم قيل: إنها الليلةُ الأولى من الشهر؛ قاله أبو رَزِين العُقَيليّ[1]. وقال الحسن وابنُ إسحاقَ وعبد الله بن الزُّبير: هي ليلةُ سَبعَ عَشْرَة من رمضان، وهي الليلةُ التي كانت صبيحتَها وقعةُ بدْر. كأنهم نزعوا بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وكان ذلك ليلةَ سَبْعَ عَشْرة[2]، وقيل: هي ليلةُ التاسعِ عَشَر[3].

والصحيحُ المشهورُ: أنها في العَشْرِ الأواخِر من رمضان، وهو قولُ مالكٍ والشافعيِّ والأوزاعيِّ وأبي ثور وأحمدَ[4]. ثم قال قومٌ: هي ليلةُ الحادي والعشرين. ومال إليه الشافعيُّ ﷺ، لحديثِ الماءِ والطينِ؛ رواه أبو سعيد الخُدْرِيُّ، خرَّجه مالك وغيرُه[5].

وقيل: ليلة الثالثِ والعشرين؛ لِمَا رواه ابنُ عمر: أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، إنِّي رأيتُ ليلةَ القدرِ في سابعةٍ تبقى. فقال النبيُّ ﷺ: «أرى رؤياكم قد تَواطَأَتْ على

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٥١٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٠، وتفسير البغوي ٤/ ٥١٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٥٣. وذكره ابن عبد البر في التمهيد ٢/ ٢٠٦ عن ابن مسعود ﷺ.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٧٦٩٦) عن علي ﷺ، أنه كان يتحرى ليلة القدر ليلة تسع عشرة، وإحدى وعشرين، وثلاث وعشرين.

(٤) ذكر قولهم ابن عبد البر في الاستذكار ١٠/ ٣٣٨، والقاضي عياض في إكمال المعلم ٤/ ١٤٣، وأبو العباس في المفهم ٣/ ٢٥١: أنها في العشر الأواخر، وأنها متنقلة فيه. قال أبو العباس: وبهذا يجتمع شتات الأحاديث الواردة في تعيينها.

(٥) موطأ مالك ١/ ٣١٩، وهو عند أحمد (١١٠٣٤)، والبخاري (٢٠٢٧)، ومسلم (١١٦٧)، وفيه: «... وقد رأيت هذه الليلة ثم أُنسيتُها، وقد رأيتُني أسجد من صبحها في ماء وطين، فالتمسوها في العشر الأواخر، والتمسوها في كلِّ وتر» قال أبو سعيد: فأمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عريش، فوكف المسجد. قال أبو سعيد: فأبصرت عيناي رسول الله ﷺ انصرف وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين، من صبح ليلة إحدى وعشرين.

ثلاثٍ وعشرين، فَمَن أراد أن يقوم من الشهر شيئاً فليَقُمْ ليلةَ ثلاثٍ وعشرين». قال معمر: فكان أيوبُ يغتسلُ ليلةَ ثلاثٍ وعشرين ويَمَسُّ طِيْباً[(١)]. وفي «صحيح» مسلمٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنِّي رأيتُ أنِّي أسجدُ في صبيحتها في ماءٍ وطين». قال عبد الله بن أنيس: فرأيتُه في صبيحةِ ليلةِ ثلاثٍ وعشرين [سجد] في الماء والطين، كما أَخبر رسولُ الله ﷺ[(٢)].

وقيل: ليلة خمسٍ وعشرين؛ لحديثِ أبي سعيد الخدرِيِّ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «التمِسوها في العشر الأواخِر في تاسعةٍ تَبْقَى، في سابعةٍ تبقى، في خامسةٍ تبقى». رواه مسلم[(٣)]، قال مالك: يريدُ بالتاسعة ليلةَ إحدى وعشرين، والسابعةِ ليلةَ ثلاثٍ وعشرين، والخامسةِ ليلةَ خمسٍ وعشرين[(٤)].

وقيل: ليلة سبعٍ وعشرين. وقد مضى دليلُه، وهو قولُ عليٍّ ﷺ وعائشةَ ومعاويةَ وأبيّ بنِ كعب[(٥)]. ورَوَى ابنُ عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن كان متحرِّياً ليلةَ القدرِ، فلْيَتَحرَّها ليلةَ سبعٍ وعشرين»[(٦)].

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الطبرسي في مجمع البيان ٣٠/١٩٣ - ١٩٤ ، ومختصراً ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ١٨٥ ، وأخرجه بنحوه عبد الرزاق (٧٦٨٨).

(٢) بنحوه في صحيح مسلم (١١٦٨)، ونقله المصنف عن ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٩٥٤ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) كذا نقل المصنف عن ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٩٥٤ ، وهذا اللفظ الذي ذكره هو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أحمد (٢٠٥٢)، والبخاري (٢٠٢٢). وحديث أبي سعيد عند مسلم (١١٦٧): (٢١٧)، وفيه: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

(٤) المدونة ١/ ٢٣٩ .

(٥) قول أبيٍّ ﷺ سلف، وذكره البغوي ٤/ ٥١١ ، وابن الجوزي ٩/ ١٨٧ عن علي وعائشة رضي الله عنهما، وأخرج أبو داود (١٣٨٦) من حديث معاوية ﷺ مرفوعاً: «ليلة القدر ليلة سبع وعشرين».

(٦) أخرجه أحمد (٤٨٠٨).

وقال أبيّ بنُ كعب: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ليلةُ القدرِ ليلةُ سبعٍ وعشرين»(١).

وقال أبو بكر الورَّاق: إنَّ الله تعالى قَسَم لياليَ هذا الشهرِ - شهرِ رمضانَ - على كلماتِ هذه السورة، فلمَّا بلغ السابعةَ والعشرين أشار إليها فقال: هي. وأيضاً فإنَّ ليلةَ القدرِ كُرِّر ذِكْرُها ثلاثَ مرَّاتٍ، وهي تسعةُ أحرفٍ، فتجيءُ سبعاً وعشرين(٢).

وقيل: هي ليلةُ تسعٍ وعشرين؛ لمَا رُوِي أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ليلةُ القدرِ التاسعةُ والعشرون، أو السابعةُ والعشرون، وإنَّ الملائكةَ في تلك الليلةِ بعدد الحصى»(٣).

وقد قيل: إنَّها في الأشفاع؛ قال الحسن: ارتقبتُ الشمسَ ليلةَ أربعٍ وعشرين عشرين سنةً، فرأيتُها تطلعُ بيضاءَ لا شعاعَ لها(٤). يعني من كثرةِ الأنوارِ في تلك الليلة.

وقيل: إنها مستورةٌ في جميع السنة؛ ليجتهد المرءُ في إحياءِ جميعِ الليالي.

وقيل: أخفاها في جميعِ شهرِ رمضان؛ ليجتهدوا في العمل والعبادةِ لياليَ شهرِ رمضانَ؛ طمعاً في إدراكها، كما أَخفَى الصلاةَ الوسطى في الصلوات، واسمَه الأعظمَ في أسمائه الحُسْنى، وساعةَ الإجابةِ في ساعات الجمعةِ وساعاتِ الليل، وغضبَه في المعاصي، ورضاه في الطاعات، وقيامَ الساعةِ في الأوقات، والعبدَ الصالحَ بين العباد؛ رحمةً منه وحكمة.

الثانية: في علاماتها: منها أنَّ الشمس تطلعُ صبيحةَ يومها(٥) بيضاءَ لا شعاعَ لها.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الطحاوي في شرح معاني الآثار ٣/ ٩٢ . وجاء في بعض رواياته عند أحمد (٢١١٩٠): ... هي الليلة التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ، ليلة سبع وعشرين...، وعند مسلم (٧٦٢): ... هي الليلة التي أمرنا بها رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة صبيحة سبع وعشرين...

(٢) زاد المسير ٩/ ١٨٨ .

(٣) أخرجه أحمد (١٠٧٣٤). وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: إسناده لا بأس به.

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٧٦٩٨).

(٥) في (م): أن تطلع الشمس في صبيحتها.

وقال الحسن قال النبيُّ ﷺ في ليلة القدر: «إنَّ من أَمَاراتها: أنَّها ليلةٌ سَمْحَةٌ بَلْجَة، لا حارَّةٌ ولا باردةٌ، تطلع الشمسُ صبيحتَها ليس لها شعاعٌ»[(١)]. وقال عبيد بن عمير: كنتُ ليلةَ السابعِ والعشرين في البحر، فأخذتُ من مائه، فوجدتُه عذباً سَلِساً[(٢)].

الثالثة: في فضائلها. وحَسْبُك بقوله تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾. وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾. وفي الصحيحين: «مَنْ قام ليلةَ القَدْرِ إيماناً واحتساباً غُفر له ما تَقَدَّم من ذَنْبه» رواه أبو هريرة[(٣)].

وقال ابن عباس: قال النبيُّ ﷺ: «إذا كان ليلةُ القدْرِ، تَنَزَّلُ الملائكةُ الَّذِينَ هم سُكَّانُ سِدْرة المُنْتَهى، منهم جبريلُ، ومعهم أَلْوِيةٌ يُنْصَبُ منها لواءٌ على قبري، ولواءٌ على بيتِ المقدِسِ، ولواءٌ على المسجدِ الحرام، ولواءٌ على طُور سَيْناء، ولا تَدَعُ فيها مؤمناً ولا مؤمنةً إلَّا تُسَلِّم عليه، إلَّا مُدْمِنَ الخمرِ، وآكِلَ الخِنزيرِ، والمتَضَمِّخ بالزعفران»[(٤)].

وفي الحديث: «إنَّ الشيطانَ لا يخرجُ في هذه الليلة حتّى يُضيءَ فَجْرُها، ولا يستطيعُ أن يصيب فيها أحداً بخَبْلٍ ولا شيءٍ من الفساد، ولا ينفذُ فيها سحرُ ساحرٍ»[(٥)].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٥١١، وأخرجه بنحوه ابن أبي شيبة ٣/ ٧٧، وأخرج نحوه أحمد (٢٢٧٦٥) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ. وابن خزيمة (٢١٩٠) من حديث جابر ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٢٧٧٧) عن عبدة بن أبي لبابة. وأخرجه البيهقي في الشعب (٣٦٩١) عن أيوب بن خالد. وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٢١/ ٢١٥ - ٢١٦ عن زهرة بن معبد. ولم نقف عليه عن عبيد بن عمير.

(٣) صحيح البخاري (١٩٠١)، وصحيح مسلم (٧٦٠)، وهو عند أحمد (٨٥٧٦).

(٤) لم نقف عليه.

(٥) قوله: «إن الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها» قطعة من حديث أخرجه ابن خزيمة (٢١٩٠)، وابن حبان (٣٦٨٨) عن جابر ﷺ.

وقال الشعبيُّ: وليلُها كَيَوْمِها، ويومُها كَلَيْلِها[١].

وقال الفرَّاءُ: لا يقدِّر اللهُ في ليلة القَدْرِ إلَّا السعادةَ والنِّعم، ويقدِّر في غيرها البلايا والنِّقَم، وقد تقدَّم عن الضحَّاك[٢]. ومثلُه لا يقال من جهة الرأي، فهو مرفوعٌ. والله أعلم.

وقال سعيد بن المسيب في «الموطأ»[٣]: [مَنْ شهِد العشاءَ من ليلةِ القدْرِ، فقد أَخَذَ بحظِّه منها]، ومثلُه لا يُدْرَك بالرأي.

وقد رَوَى عُبَد الله بن عامر بن ربيعة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن صلَّى صلاةَ المغربِ والعشاءِ الآخرةِ من ليلةِ القدرِ في جماعةٍ فقد أَخَذَ بحظِّه من ليلةِ القَدْر» ذكره الثعلبيُّ في تفسيره[٤].

وقال عائشةُ رضي الله عنها: قلتُ: يا رسولَ الله إنْ وافقتُ ليلةَ القَدرِ فما أقولُ؟ قال: «قُولي: اللهمَّ إنَّك عَفُوٌّ تُحِبُّ العفوَ فاعْفُ عنِّي»[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٥١٥ .

(٢) ص٣٩٧ من هذا الجزء، ولم نقف على قول الفراء في معاني القرآن له.

(٣) ١/ ٣٢١ وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٣٧٠٧) من حديث أنس ﷺ، وأخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٥١٥ عن سعيد بن المسيب قوله.

(٥) أخرجه أحمد (٢٥٣٨٤)، والترمذي (٣٥١٣) وقال: حسن صحيح.

سُورَةُ القَدْرِ

مختلفٌ فيها، وآيُها خَمسٌ [1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ الضَّميرُ للقرآنِ، فخَّمَه بإضمارِه مِن غيرِ ذكرٍ شهادةً له بالنَّباهةِ المُغْنِيَةِ عَن التَّصريحِ، كما عظَّمَه بأنْ أسندَ إنزالَهُ إليه، وعظَّمَ الوقتَ الذي أنزِلَ فيه بقولِه:

(٢ ـ ٣) ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ وإنزالُه فيها بأَنِ ابتدأ بإنزالِه فيها [2]، أو أنزلَهُ جُملةً مِن اللوحِ إلى السَّماءِ الدُّنيا على السَّفَرةِ، ثمَّ كان جبريلُ يُنزلُه على رسولِ اللهِ ﷺ نُجومًا في ثلاثٍ وعِشرينَ سنةً [3].

وقيل: المعنى: أنزلناه في فضلِها.

وهي في أوتارِ العَشرِ الأخيرِ مِن رمضانَ، ولعلَّها السَّابعَةُ منها، والدَّاعي إلى إخفائِها: أن يُحيِيَ مَن يريدُها لياليَ كثيرةً.

---

(١) اختلفَ في عددِ آياتها هل هو خمسٌ أو ستٌّ، وفي مكيتها ومدنيتها. انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٨١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٤٣) عن الشعبي بلفظ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ قال: نزل أول القرآن في ليلة القدر.

(٣) رواه بنحوه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٦٢٥)، من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

وتَسمِيَتُها بذلك لشَرَفِها، أو لتقديرِ الأمورِ فيها؛ لقولِه تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤].

وذكرُ الأَلْفِ إمَّا للتَّكثيرِ، أو لِمَا رُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ ذكرَ إسرائيليًا لبسَ السِّلاحَ في سبيلِ اللهِ ألفَ شهرٍ، فعَجِبَ المؤمنونَ وتقاصرَتْ إليهم أعمالَهُم، فأُعْطُوا ليلةً هي خيرٌ مِن مُدَّةِ ذلك الغازي(١).

(٤) ـ ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ بيانٌ لِمَا له فُضِّلَتْ على ألفِ شهرٍ، وتَنزُّلُهم إلى الأرضِ أو السَّماءِ الدُّنيا، أو تَقرُّبُهم إلى المؤمنينَ.

﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾: مِن أَجلِ كُلِّ أمرٍ قُدِّرَ في تلك السَّنةِ، وقُرِئَ: (مِنْ كلِّ امرئٍ)(٢)؛ أي: مِن أجلِ كلِّ إنسانٍ.

(٥) ـ ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾: ما هيَ إلا سَلامةٌ؛ أي: لا يُقدِّرُ اللهُ فيها إلَّا السَّلامةَ، ويَقضي في غيرِها السَّلامةَ والبلاءَ، أو: ما هيَ إلا سَلامٌ لكثرةِ ما يُسلِّمونَ فيها على المؤمنينَ.

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ أي: وقتِ مَطلَعِه؛ أي: طلوعِه، وقرأَ الكِسائيُّ بالكسرِ(٣) على أنَّه كالمرجِعِ، أو اسمُ زمانٍ على غيرِ قياسٍ كالمَشرِقِ.

عن النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سُورةَ القَدْرِ أُعطِيَ مِن الأجرِ كمَنْ صامَ رمضانَ وأحيا ليلةَ القدرِ»(٤).

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٩٠)، من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف جدًّا. وروى نحوه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٦٨)، والبيهقي في «سننه» (٤/ ٣٠٦)، عن مجاهد وقال: هذا مرسل.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٦٨)، عن ابن عباس. وزاد بن جني: عكرمة والكلبي.

(٣) أي: بكسر اللام، والباقونَ بفتحها، انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٤).

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٦ ـ ٥٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٣٢)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور.

سورة القدر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ الآية، هذه السورة مدنية في قول الأكثر. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة: لمّا قال ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴿١﴾﴾ [العلق] فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا: إنا أنزلناه في ليلة القدر. والضمير عائد على ما دلّ عليه المعنى وهو ضمير القرآن. قال ابن عباس: أنزله الله تعالى ليلة القدر إلى سماء الدنيا جملة، ثم نجّمه على محمد ﷺ في عشرين سنة.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ تفخيم لشأنها، أي: لم تبلغ درايتك غاية فضلها، ثم بيّن له ذلك. قيل: ما كان في القرآن «وما أدراك»، فقد أُعْلِمَهُ، وما كان[2] «وما يدريك» فإنه لم يُعْلَمْهُ.

والظاهر أن ﴿أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يراد به حقيقة العدد وهي ثمانون سنة وثلاثة أعوام وثلث عام. والعمل في ليلة القدر أفضل من العمل في هذه الشهور.

---

(١) مكية وهي خمس آيات.

(٢) ق: قال.

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ تقدّم الكلام عليه[1]. ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ متعلّق بـ«تنزّل». ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ متعلق بـ«تنزّل». و«مِن» للسبب أي: تنزّل من [أجل] كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل.

﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾ أي: هي سلام، جعلها سلاماً لكثرة السلام فيها. قيل: لا يلقون مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلّموا عليه في تلك الليلة. وقرىء: مطلع، بفتح اللام وكسرها.

(١) انظر شرح الآية ٢ من النّحل.

سورة القَدْر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾.

هذه السورة مدنية في قول الأكثر، وحكى الماورديُّ عكسَه. وذكر الواقديُّ[(١)] أنَّها أول سورة نزلت بالمدينة. وفي الحديث أنَّ أربعةً عبدوا الله تعالى ثمانين سنةً لم يَعْصُوه طرفةَ عين؛ أيوب، وزكريا، وحِزْقيل، ويوشع، فعجِبَ الصحابةُ من ذلك، فقال جبريل: يا محمد، عجبَتْ أمَّتُك من ذلك، فقَد أنزل الله تعالى عليك خيراً من ذلك. فقرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ السورة، فسُرَّ بذلك[(٢)].

ومناسبتُها لِما قبلَها ظاهرة؛ لمَّا قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، فكأنَّه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾، والضمير عائدٌ على ما دلَّ عليه المعنى، وهو ضمير القرآن.

---

(١) تصحفت في النسخ والمطبوع إلى: الواحدي، والتصويب من النكت والعيون ٦/ ٣١١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٩٠ والكلام بتمامه منه، ونسب القول الأول للثعلبي، وهو في تفسيره ٦/ ٥٠١.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٥٠. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٢٦) عن يونس، عن ابن وهب، عن مَسْلَمة بن علي، عن علي بن عروة، عن النبي ﷺ معضلاً. ومَسْلَمة بن علي وأبوه علي بن عروة متروكان، كما قال ابن حجر في تقريب التهذيب.

قال ابن عباس وغيره: أنزلَه اللهُ تعالى ليلةَ القدر إلى سماء الدنيا جملةً، ثمَّ نجَّمه على محمدٍ ﷺ في عشرين سنة. وقال الشَّعبيُّ وغيره: إنَّا ابتدَأْنا إنزالَ هذا القرآنِ إليك في ليلة القدر. ورُويَ أنَّ نزول المَلَك في حِراء، وكان في العَشْر الأواخر من رمضان. وقيل: المعنى: إنَّا أنزلنا هذه السورة في شأن ليلة القدر وفضلها[١].

ولمَّا كانت السورة من القرآن جاء الضمير للقرآن تفخيماً وتحسيناً، فليست «ليلة القدر» ظرفاً للنزول، بل على نحوِ قولِ عمر رضي الله تعالى عنه: لقد خشيتُ أن ينزلَ فيَّ قرآنٌ. وقولِ عائشة: لأنا أحقَرُ في نفسي من أن ينزلَ فيَّ قرآنٌ[٢].

وقال الزمخشري[٣]: عظَّمَ القرآنَ مِنْ إسناد إنزاله إليه مختصًّا به، ومِنْ مجيئه بضميره دون اسمه الظاهر؛ شهادةً له بالنَّباهة والاستغناء عن التنبيه عليه، وبالرفع من مقدار الوقت الذي أُنزِلَ فيه. انتهى. وفيه بعض تلخيص.

وسُمِّيت ليلةَ القدر؛ لأنَّه تُقدَّر فيها الآجالُ والأرزاقُ وحوادثُ العالم كلُّها، وتُدفَعُ إلى الملائكة لتمتَثِلَه. قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما. وقال الزُّهري: معناه: ليلةُ القدرِ العظيمِ والشرفِ وعِظَمِ الشأن، من قولك: رجلٌ له قَدْرٌ. وقال أبو بكر الورَّاق: سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها تُكسِبُ مَنْ أحياها قَدْراً عظيماً لم يكن له قبل، وترُدُّه عظيماً عند الله تعالى. وقيل: سُمِّيت بذلك؛ لأنَّ كلَّ العمل فيها له قَدْرٌ وخَطَر[٤]. وقيل: لأنَّه أنزل فيها كتاباً ذا قَدْرٍ على رسولٍ ذي قَدْرٍ لأُمَّةٍ ذاتِ قَدْرٍ. وقيل: لأنَّه يَنزِلُ فيها ملائكةٌ ذاتُ قَدْرٍ وخَطَرٍ. وقيل: لأنَّه قدَّرَ فيها الرحمةَ على المؤمنين. وقال الخليل: لأنَّ الأرضَ تضيقُ فيها بالملائكة، كقوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] أي: ضُيِّق[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٤. وينظر تفسير الطبري ٢٤/ ٥٤٢-٥٤٣، والكشاف ٤/ ٢٧٣.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٤. وقول عمر ﷺ أخرجه البخاري (٤١٧٧). وقول عائشة ﵂ أخرجه البخاري - أيضاً - (٢٦٦١)، وهو قطعة من حديث الإفك.
(٣) في الكشاف ٤/ ٢٧٣.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٤-٥٠٥.
(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٠٢، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٩٢.

وقد اختلف السَّلفُ والخلفُ في تعيين وقتها اختلافاً متعارضاً جِدًّا، وبعضهم قال: رُفِعَتْ[١]. والذي يدلُّ عليه الحديثُ أنَّها لم تُرْفَعْ، وأنَّ العَشْرَ الأخيرَ تكون فيه، وأنَّها في أوتاره كما قال عليه الصلاة والسلام: «التمسوها في الثالثة والخامسة والسابعة والتاسعة»[٢]، وفي الصحيح: «مَنْ قامَ ليلةَ القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذنبه»[٣].

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾ تفخيمٌ لشأنها، أي: لم تبلغ دِرايتُك غايةَ فضلها[٤]. ثمَّ بيَّنَ له ذلك؛ قال سفيان بن عُيينة: ما كان في القرآن «وما أدراك» فقد أعلَمَه، وما قال: «وما يُدريك» فإنَّه لم يُعْلِمْه[٥].

قيل: وأخفاها الله تعالى عن عباده ليجدوا في العمل ولا يتَّكِلوا على فضلها ويُقَصِّروا في غيرها[٦].

والظاهر أنَّ «ألف شهر» يُراد به حقيقةَ العدد وهي ثمانون سنة وثلاثةُ أعوام وثُلُثُ عام. والعمل[٧] في ليلة القدر أفضَلُ من العمل في هذه الشهور.

والمراد: خيرٌ من ألف شهرٍ عارٍ من ليلة القدر. وعلى هذا أكثر المفسِّرين. وقال أبو العالية: خيرٌ من ألف شهر رمضان لا يكون فيها ليلةُ القدر. وقيل:

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٠٢، وتفسير البغوي ٤/ ٥٠٩. ونقلَ هذا القولَ عن أبي حنيفة ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥. وقال: هذا قول مردود، وإنَّما رُفع تعيينُها.

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٢١٧٧) من حديث أبي هريرة ﷺ. والرواية المشهورة ليس فيها ذكر «الثالثة»، وأخرجها البخاري (٦٠٤٩)، وأحمد (٢٢٢٦٧) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ. والبخاري (٢٠٢١)، وأحمد (٢٠٥٢) من حديث ابن عباس ﷺ. ومسلم (١١٦٧)، وأحمد (١١٠٧٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠)، وأحمد (٨٥٧٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٧٣.

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ١٠٧، وذكره القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٣٩٢.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥.

(٧) تحرفت في (ت) والمطبوع إلى: والحسن، والمثبت من باقي النسخ، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥.

المعنى: خيرٌ من الدهر كلِّه؛ لأنَّ العرب تذكر الألف في غاية الأشياء كلِّها؛ قال تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] يعني جميعَ الدهر(١). وعُوتِبَ الحسنُ بن عليٍّ في تسليمه الأمرَ لمعاوية، فقال: إنَّ الله تعالى أرى في المنام نبيَّه ﷺ بني أمية يَنْزُون على منبره نَزْوَ القردة، فاهتمَّ لذلك، فأعطاه الله تعالى ليلةَ القدر، وهي خيرٌ من مدة ملوك بني أمية، وأعلمه أنَّهم يملِكون هذا القدر من الزمان(٢). قال القاسم بن الفضل الحُدَّاني(٣): فعدَدْنا ذلك، فإذا هي ألف شهر، لا تزيدُ يوماً، ولا تنقصُ يوماً. وخرَّج قريباً من معناه الترمذي(٤). وقال: حديث غريب. انتهى.

وقيل: آخر ملوكهم مروان الجَعْدي في آخر هذا القدر من الزمان. ولا يُعارِضُ هذا تملُّكُ بني أمية في جزيرة الأندلس مدَّةً غيرَ هذه؛ لأنَّهم إنَّما كانوا في بعض أطراف الأرض وآخر عمارة العرب، بحيث كان في إقليم العرب إذ ذاك ملوكٌ كثيرون غيرُهم(٥).

وذكر أيضاً في تخصيص هذه المدة أنَّ رسول الله ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألفَ شهرٍ، فعجب المؤمنون من ذلك، وتقاصرت إليهم أعمالهم، فأُعطوا ليلةً هي خيرٌ من مدة ذلك الغازي(٦). وقيل: إنَّ

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٩٣. وقول أبي العالية لم أجد من أخرجه، ولكن أخرجه عن قتادة عبدُ الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٨٦، والطبريُّ ٢٤/ ٥٤٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥.

(٣) تصحفت في المطبوع والنسخ سوى (يه) إلى: الجذامي. والقاسم بن الفضل: هو من رواة الحديث، وهو ثقة، روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم وأصحاب السنن، توفي سنة (١٦٧)هـ. ينظر تقريب التهذيب.

(٤) في سننه (٣٣٥٠). وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا الحديث منكرٌ جدًّا.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥.

(٦) أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٢٤)، والبيهقي في السنن ٤/ ٣٠٦، والواحدي في أسباب النزول ص٤٩٥ من طريق مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن النبي ﷺ مرسلاً. ومسلم بن خالد ضعيف. والكلام من الكشاف ٤/ ٢٧٣.

الرجل فيما مضى ما كان يُقال له: عابدٌ، حتى يعبد الله تعالى ألفَ شهر، فأُعطوا ليلةً إن أحْيَوها كانوا أحقَّ بأن يُسمَّوا عابدين من أولئك العُبَّاد.

وقال أبو بكر الورَّاق: ملَكَ كلٌّ من سليمانَ وذي القرنين خمسَمئة سنةٍ، فصار ألف شهر، فجعل الله العملَ في هذه الليلة لمن أدركها خيراً من ملكهما[1].

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ تقدَّم الخلاف في الرُّوح: أهو جبريل، أم رحمةٌ يُنزَلُ بها، أم ملَكٌ غيرُه، أم أشرافُ الملائكة، أم جندٌ من غيرهم، أم حفَظَةٌ على غيرهم من الملائكة[2].

والتنزُّل: إمَّا إلى الأرض، وإمَّا إلى سماء الدنيا[3].

«بإذن ربِّهم» مُتعلِّقٌ بـ «تنزَّلُ» «من كلِّ أمر» مُتعلِّقٌ بـ «تنزَّل»، و«مِنْ» للسبب، أي: تتنزَّلُ من أجل كلِّ أمرٍ قضاه الله لتلك السنة إلى قابل[4].

و«سلامٌ» مستأنَفٌ خبرٌ للمبتدأ الذي هو «هي»، أي: هي سلامٌ إلى أول يومها. قاله أبو العالية ونافعٌ المقرئ والفرَّاء. وهذا على قول من قال: إنَّ تنزُّلَهم لتقدير الأمور لهم. وقال أبو حاتم: «مِنْ» بمعنى الباء، أي: بكلِّ أمر[5].

وقرأ الجمهور: «مِنْ كلِّ أمر». وابن عباس، وعكرمة، والكلبي: «من كلِّ امرئٍ»[6] أي: من أجل كلِّ إنسان[7]. وقيل: يراد بكلِّ امرئ الملائكة، أي: من كلِّ ملَكٍ تحيةً على المؤمنين العاملين بالعبادة[8]. وأنكر هذا القول أبو حاتم[9].

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٥١٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٩٣.
(٢) ينظر ما تقدم عند تفسير الآية (٥٣) من سورة الشورى.
(٣) الكشاف ٤/ ٢٧٣.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥.
(٦) القراءات الشاذة ص١٧٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما، والمحتسب ٢/ ٣٦٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٦ عنهم جميعاً.
(٧) الكشاف ٤/ ٢٧٣.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٦.
(٩) فيما نقل عنه ابنُ جني في المحتسب ٢/ ٣٦٨.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ أي: هي سلام، جعلها سلاماً لكثرة السلام فيها[١]. قيل: لا يلقَون مؤمناً ولا مؤمنةً إلَّا سلَّموا عليه في تلك الليلة[٢]. وقال منصور والشَّعبي: «سلامٌ» بمعنى التحية، أي: تسلِّم الملائكة على المؤمنين.

ومن قال: تنزُّلهم ليس لتقدير الأمور في تلك السنة، جعل الكلام تامًّا عند قوله: «بإذن ربهم»، وقال: «مِنْ كلِّ أمر» مُتعلِّقٌ بقوله: «سلامٌ هي» أي: من كلِّ أمرٍ مَخوفٍ ينبغي أن يُسلَّمَ منه هي سلام. وقال مجاهد: لا يُصيبُ أحداً فيها داءٌ[٣]. وقال صاحب «اللوامح»: وقيل: معناه: هي سلامٌ من كلِّ أمرٍ أو امرئٍ، أي: سالمةٌ أو مُسلَّمةٌ منه، ولا يجوز أن يكون «سلامٌ» بهذه اللفظة الظاهرة التي هي المصدر عاملاً فيما قبلَه؛ لامتناع تقدُّم معمول المصدر على المصدر، كما أنَّ الصِّلَةَ كذلك لا يجوز تقديمُها على الموصول. انتهى.

وعن ابن عباس: تمَّ الكلامُ عند قوله: «سلام» ولفظة «هي» إشارة إلى أنَّها ليلةُ سبعٍ وعشرين من الشهر؛ إذ هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات هذه السورة[٤]. انتهى. ولا يصحُّ مثلُ هذا عن ابن عباس، وإنَّما هذا من باب اللُّغَز المُنزَّه عنه كلام الله تعالى.

وقرأ الجمهور: «مَطْلَع» بفتح اللام. وأبو رجاء، والأعمش، وابن وثَّاب، وطلحة، وابن مُحَيْصِن، والكسائي، وأبو عمرو بخلاف عنه بكسرها[٥]. فقيل: هما مصدران في لغة بني تميم. وقيل: المصدر بالفتح، وموضع الطُّلوع بالكسر عند أهل الحجاز.

---

(١) تفسير الرازي ٣٢/ ٣٦.
(٢) الكشاف ٤/ ٢٧٣.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٥.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٦.
(٥) القراءة عن الكسائي في السبعة ص٦٩٣، والتيسير ص٢٢٤. وذكر ابن مجاهد ـ أيضاً ـ أنَّ القراء عن أبي عمرو من رواية عبيدٍ عنه. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٦.

(٩٧) سورة القدر مكية
وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

يخبر تعالى أنه أنزل القرآن ﴿ليلة القدر﴾ وهي الليلة المباركة التي قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ وهي من شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾، قال ابن عباس: أنزل

الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ، ثم قال تعالى معظماً لشأن ليلة القدر التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها، فقال: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر﴾. روى ابن أبي حاتم، عن مجاهد أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، قال: فعجب المسلمون من ذلك قال: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر[1]، وروى ابن جرير، عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدوّ بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل »[2]. وقال سفيان الثوري: بلغني عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر، وعن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في تلك الشهور ليلة القدر، وقال عمرو بن قيس: عملٌ فيها خير من عمل ألف شهر، وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير، وهو الصواب، كقوله ﷺ: « رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل »[3]. وفي الحديث الصحيح في فضائل رمضان قال عليه السلام: « فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم »[4] ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر، ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »[5]. وقوله تعالى: ﴿تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم تعظيماً له، وأما الروح فقيل: المراد به ههنا جبريل عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العام، وقيل: هم ضرب من الملائكة كما تقدم في سورة النبأ، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿من كل أمر﴾ قال مجاهد: سلام هي من كل أمر، وقال سعيد بن منصور عن مجاهد في قوله: ﴿سلام هي﴾ قال: هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً، أو يعمل فيها أذى، وقال قتادة: تقضى فيها الأمور، وتقدر الآجال والأرزاق، كما قال تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾. وروى أبو داود الطيالسي، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: « إنها ليلة سابعة، أو تاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى »[6]. وقال قتادة وابن زيد في قوله: ﴿سلام هي﴾ يعني هي خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر، وأمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة، كأن فيها قمراً ساطعاً، ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر، والشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن جرير عن مجاهد موقوفاً

(٣) أخرجه أحمد.

(٤) أخرجه أحمد والنسائي.

(٥) أخرجه الشيخان.

(٦) رواه الطيالسي.

في ليلة القدر: «ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء»[1]، وعن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «إني رأيت ليـلة القدر فأنسيتها وهي في العشر الأواخر من لياليها وهي طلقة بلجة لا حارة ولا باردة، كأن فيها قمراً لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها».

فصل

اختلف العلماء هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة أو هي من خصائص هذه الامة؟ فقال الزهري: حدثنا مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ أُرِيَ أعمار النـاس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر[2]، وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر، وقيل: إنها كانت في الأمم الماضين كما هي في امتنا، ثم هي باقية إلى يوم القيامة وفي رمضان خـاصة لا كما روي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من أنها توجد في جميع السنة، وترتجى في جميع الشهور على السواء، وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال: (باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضـان)، ثم روى بسنده عن عبدالله بن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر؟ فقال: هي في كل رمضان»[3]، وقد حكي عن أبي حنيفة رحمه الله رواية أنها ترتجى في كل شهر رمضان وهو وجه حكاه الغزالي.

فصل

ثم قد قيل: إنها تكون في أول ليلة من شهر رمضان، وقيل: إنها تقع ليلة سبع عشرة، وهو قول الشافعي، ويحكى عن الحسن البصري، ووجهوه بأنها ليلة بدر، وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان، وفي صبيحتها كانت وقعة بدر، وهو اليوم الذي قـال الله تعالى فيه: ﴿يوم الفرقان﴾. وقيل: ليلة تسع عشرة، يحكى عن علي وابن مسعود، وقيل: ليلة إحدى وعشرين لحديث أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله ﷺ في العشر الأول من رمضان، واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك، فاعتكف العشر الأوسط، فاعتكفنا معه، فأتا جبريل فقال: الذي تطلب أمامك، ثم قـام النبي ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان، فقال: «من كان اعتكف معي فليرجع فإني رأيت ليلة القدر، وإني أنسيتها وإنها في العشر الأواخر في وتر، وإني رأيت كأني أسجد في طين وماء»، وكان سقف المسجد جريداً من النخل، وما نرى في السماء شيئاً، فجاءت قزعة، فمطرنا فصلّى بنا النبي ﷺ، حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه في صبح إحدى وعشرين»[4]. قال الشافعي: وهذا الحديث أصح الروايات، وقيل: ليلة ثلاث وعشرين، وقيل: تكون ليـلة خمس وعشرين لما رواه البخاري عن عبدالله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر من

---

(١) أخرجه الطيالسي.
(٢) أخرجه مالك.
(٣) أخرجه أبو داود.
(٤) أخرجه الشيخان.

رمضان في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى »[1] فسره كثيرون بليالي الاوتار، وهو أظهر وأشهر، وحمله آخرون على الأشفاع. **وقيل**: إنها تكون ليلة سبع وعشرين، لما رواه مسلم في صحيحه عن أُبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنها ليلة سبع وعشرين، قال الإمام أحمد: عن زر: سألت أُبي بن كعب قلت: أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يصب ليلة القدر، قال: يرحمه الله لقد علم أنها في شهر رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين، ثم حلف، قلت: وكيف تعلمون ذلك؟ قال: بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا بها، تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها يعني الشمس[2]. وهو قول طائفة من السلف، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وهو رواية عن أبي حنيفة أيضاً، **وقيل**: إنها تكون في ليلة تسع وعشرين، روى الإمام أحمد بن حنبل عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر، فقال رسول الله ﷺ: « في رمضان فالتمسوها في العشر الأواخر فإنها في وتر إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة »[3]. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: « إنها في ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى »[4]. **وقيل**: إنها تكون في آخر ليلة لما تقدم من هذا الحديث آنفاً، ولما رواه الترمذي والنسائي من حديث عيينة بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: « في تسع يبقين أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث أو آخر ليلة يعني التمسوا ليلة القدر »[5]. وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في ليلة القدر: « إنها آخر ليلة ».

فصل

قال الشافعي في هذه الروايات: صدرت من النبي ﷺ جواباً للسائل إذا قيل له: أنلتمس ليلة القدر في الليلة الفلانية؟ يقول: « نعم »، وإنما ليلة القدر ليلة معينة لا تنتقل، وروي عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر؛ وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة هو الأشبه، والله اعلم. وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن عمر أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان، فقال رسول الله ﷺ: « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها، فليتحرها في السبع الأواخر »[6]. وفيهما أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان »[7]. ويحتج الشافعي أنها لا تنتقل وأنها معينة من الشهر بما رواه البخاري في صحيحه

---

(١) خرجه البخاري.

(٢) خرجه أحمد ورواه مسلم بنحوه.

(٣) خرجه أحمد.

(٤) خرجه أحمد.

(٥) أخرجه الترمذي والنسائي؛ وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٦) أخرجاه في الصحيحين.

(٧) أخرجه الشيخان، واللفظ للبخاري.

عن عبادة بن الصامت قال: خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»[١]، وجه الدلالة منه أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة، إذ لو كانت تنتقل لما علموا تعيينها إلا ذلك العام فقط، اللهم إلا أن يقال إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط، وقوله: «فتلاحى فلان وفلان فرفعت» فيه استئناس لما يقال: إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع، كما جاء في الحديث: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه» وقوله: «فرفعت» أي رفع علم تعيينها لكم، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود، كما يقوله جهلة الشيعة، لأنه قد قال بعد هذا: «فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»، وقوله: «وعسى أن يكون خيراً لكم» يعني عدم تعيينها لكم فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها، فكان أكثر للعبادة بخلاف ما إذا علموا عينها، فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط، وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها، ويكون الاجتهاد في العشر الأخير أكثر، ولهذا كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عزَّ وجلَّ، ثم اعتكف أزواجه بعده. عن ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان[٢]. وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله، وشد المئزر، ولمسلم عنها: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره، وهذا معنى قولها وشد المئزر، وقيل: المراد بذلك اعتزال النساء، ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين لما رواه الإمام أحمد، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا بقي عشر من رمضان شد مئزره، واعتزل نساءه، وقد حكي عن مالك رحمه الله أن جميع ليالي العشر في تطلب ليلة القدر على السواء، لا يترجح منها ليلة على أخرى، والمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات وفي شهر رمضان أكثر، وفي العشر الأخير منه، ثم في أوتاره أكثر، والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني، لما رواه الإمام أحمد عن عبدالله بن بريدة أن عائشة قالت: يا رسول الله: إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»[٣].

[آخر تفسير سورة ليلة القدر، ولله الحمد والمنة]

* * *

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجاه في الصحيحين.

(٣) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة.

تفسير سورة القدر[1]

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥ ﴾ .

يخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر ، وهى الليلة المباركة التى قال الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان:٣] وهى ليلة القدر ، وهى من شهر رمضان ، كما قال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة:١٨٥] .

قال ابن عباس وغيره :أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العِزّة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ .

ثم قال تعالى مُعَظِّما لشأن ليلة القدر ، التى اختصها بإنزال القران العظيم فيها ، فقال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ .

قال أبو عيسى الترمذى عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا أبو داود الطيالسى، حدثنا القاسم بن الفضل الحُدّانى [2] ، عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن على بعد ما بايع معاوية فقال : سَوّدتَ وجوهَ المؤمنين ـ أو : يا مسود وجوه المؤمنين ــ فقال : لا تؤنبنى ،رحمك الله ؛ فإن النبى ﷺ أرىَ بنى أمية على منبره ، فساءه ذلك ، فنزلت : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ يا محمد ، يعنى نهراً فى الجنة ،ونزلت: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ، يملكها بعدك بنو أمية يا محمد . قال القاسم : فعددنا فإذا هى ألف شهر ، لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً [3] .

ثم قال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدى. قال : وشيخه يوسف بن سعد ـ ويقال : يوسف بن مازن ـ رجل مجهول ، ولا نعرف هذا الحديث ، على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه .

وقد روى هذا الحديث الحاكم فى مستدركه ، من طريق القاسم [4] بن الفضل ، عن يوسف بن

(١) فى أ : « سورة ليلة القدر » .

(٢) فى أ : « الجذامى » .

(٣) سنن الترمذى برقم (٣٣٥٠) .

(٤) فى أ : « من حديث الحاكم ».

مازن ، به [١] . وقول الترمذى : إن يوسف هذا مجهول ــ فيه نظر ؛ فإنه قد روى عنه جماعة ، منهم : حماد بن سلمة ، وخالد الحذاء ، ويونس بن عبيد . وقال فيه يحيى بن معين : هو مشهور، وفى رواية عن ابن معين [قال] [٢] : هو ثقة . ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل ، عن عيسى بن مازن ، كذا قال ، وهذا يقتضى اضطراباً فى هذا الحديث ، والله أعلم . ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً ، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزّى : هو حديث منكر .

قلت : وقول القاسم بن الفضل الحُدّانى [٣] : إنه حسب مُدّة بنى أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص ، ليس بصحيح ؛ فإنّ معاويةَ بن أبى سفيان ، رضى الله عنه ، استقل بالملك حين سَلّم إليه الحسن بن على الإمرة سنَة أربعين ، واجتمعت البيعة لمعاوية ، وسمى ذلك عام الجماعة ، ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها ، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير فى الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريباً من تسع سنين ، لكن لم تَزُل يدهم عن الإمرة بالكلية ، بل عن بعض البلاد ، إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة ، وذلك أزيد من ألف شهر ، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير ، وعلى هذا فتقارب ما قاله للصحة فى الحساب ، والله أعلم .

ومما يدلّ على ضَعف هذا الحديث أنَّه سِيقَ لذم دولة بنى أمية ، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق ؛ فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذَم أيامهم، فإنّ ليلة القدر شريفة جداً ، والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر ، فكيف تُمدح بتفضيلها على أيام بنى أمية التى هى مذمومة ، بمقتضى هذا الحديث ، وهل هذا إلا كما قال القائل :

أَلَم تَرَ أنّ السيف ينقُصُ قَدْرُه ... إذا قِيل إنّ السيف أمضَى مِن العَصَا

وقال آخر :

إذا أنتَ فَضَّلتَ امرأً ذا بَرَاعَة ... عَلَى نَـاقص كَـانَ المديحُ منَ النَّقص

ثم الذى يفهم من ولاية [٤] الألف شهر المذكورة فى الآية هى أيام بنى أمية ، والسورة مكية ، فكيف يحال على ألف شهر هـى دولة بنى أمية ، ولا يـدل عليها لفظ الآيـة ولا معنـاها ؟! والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة ، فهذا كله ممـا يـدل على ضعـف هذا الحـديث ونكارته ، والله أعلم [٥] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا مسلم ــ يعنى ابن خالد ــ عن ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد : أن النبى ﷺ ذكر رجلاً من بنى إسرائيل لَبس السلاح فى

---

(١) المستدرك (٣/ ١٧٠) ومن طريقه البيهقى فى دلائل النبوة (٦/ ٥٠٩) .
(٢) زيادة من م .
(٣) فى أ : « الجذامى » .
(٤) فى م : « ثم من الذى يفهم من الآية أن » .
(٥) وانظر : البداية والنهاية (٦/ ٢٤٣، ٢٤٤) فقد توسع أيضا فى الكلام على هذا الحديث .

سبيل الله ألف شهر ، قال : فَعَجب المسلمون من ذلك ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ التى لبس ذلك الرجل السلاح فى سبيل الله ألف شهر (١) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حَكَّام بن سَلْم ، عن المثنى بن الصباح ، عن مجاهد قال : كان فى بنى إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسى ، ففعل ذلك ألف شهر ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل (٢) .

وقال ابن أبى حاتم : أخبرنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، حدثنى مسلمة بن عُلَىّ ، عن على بن عروة قال : ذكر رسول الله ﷺ يوما أربعة من بنى إسرائيل ، عبدوا الله ثمانين عاماً ، لم يَعْصوه طرفة عين : فذكر أيوب ، وزكريا ، وحزقيل بن العجوز ، ويوشع بن نون ــ قال : فعجب (٣) أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد ، عَجِبَتْ أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة ، لم يَعْصُوه طرفة عين ؛ فقد أنزل الله خيراً من ذلك . فقرأ عليه : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ، هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك . قال : فَسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ والناس معه (٤) .

وقال سفيان الثورى : بَلَغنى عن مجاهد : ليلةُ القدر خير من ألف شهر . قال : عَملَها ، صيامها وقيامها خير من ألف شهر . رواه ابن جرير .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا ابن أبى زائدة ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر ، ليس فى تلك الشهور ليلة القدر . وهكذا قال قتادة بن دعامة ، والشافعى ، وغير واحد .

وقال عمرو بن قيس الملائى : عمل فيها خير من عمل ألف شهر .

وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ــ وليس فيها ليلة القدر ــ هو اختيارُ ابن جرير . وهو الصواب لا ما عداه ، وهو كقوله ﷺ : « رِباطُ ليلة فى سبيل الله خَيْر من ألف ليلة فيما سواه من المنازل » . رواه أحمد (٥) . وكما جاء فى قاصد الجمعة بهيئة حسنة ، ونية صالحة : « أنه يُكتَبُ له عمل سنة ، أجر صيامها وقيامها » إلى غير ذلك من المعانى المشابهة لذلك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أيوب ، عن أبى قِلابَة ، عن أبى هُريرة قال : لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ : « قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، افترض الله

(١) ورواه الثعلبى فى تفسيره والواحدى فى أسباب النزول كما فى تخريج الكشاف للزيلعى (٤/ ٢٥٣) من طريق مسلم بن خالد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد به مرسلاً .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٦٧) .

(٣) فى أ : « فتعجب » .

(٤) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٥٦٩) وعزاه لابن أبى حاتم .

(٥) المسند (١/ ٦٢) من حديث عثمان ، رضى الله عنه .

عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حُرم خيرَها فقد حُرم » .

ورواه النسائى ، من حديث أيوب ، به (١) .

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ، ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّم من ذنبه » (٢) .

وقوله : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أى : يكثر تَنَزُّلُ الملائكة فى هذه الليلة لكثرة بركتها ، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة ، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحِلَق الذكر ، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له .

وأما الروح فقيل : المراد به هاهنا جبريل ، عليه السلام ، فيكون من باب عطف الخاص على العام . وقيل : هم ضرب من الملائكة . كما تقدم فى سورة « النبأ ». والله أعلم .

وقوله : ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ : قال مجاهد : سلام هى من كل أمر .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد فى قوله : ﴿سَلامٌ هِيَ ﴾ قال : هى سالمة ، لا يستطيع الشيطان (٣) أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى .

وقال قتادة وغيره : تقضى فيها الأمور ، وتقدر الآجال والأرزاق ، كما قال تعالى : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان : ٤] .

وقوله : ﴿ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ : قال سعيد بن منصور : حدثنا هُشَيْم ، عن أبى إسحاق ، عن الشعبى فى قوله تعالى : ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ قال : تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد ، حتى يطلع الفجر .

وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه كان يقرأ: « من كل امرئ . سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وروى البيهقى فى كتابه « فضائل الأوقات » عن علىٍّ أثراً غريباً فى نزول الملائكة ، ومرورهم على المصلين ليلة القدر ، وحصول البركة للمصلين .

وروى ابن أبى حاتم عن كعب الأحبار أثراً غريباً عجيباً مطولاً جداً ، فى تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل ، عليه السلام ، إلى الأرض ، ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات (٤) .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا عمران ــ يعنى القطان ــ عن قتادة ، عن أبى ميمونة ، عن أبى هُريرة : أن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر : « إنها ليلة سابعة ــ أو : تاسعة ــ وعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة فى الأرض أكثر من عدد الحصى » (٥) .

---

(١) المسند (٢/ ٢٣٠) وسنن النسائى (٤/١٢٩) .

(٢) صحيح البخارى برقم (١٩٠١) وصحيح مسلم برقم (٧٦٠) .

(٣) فى أ : « الشياطين » .

(٤) سيأتى إيراد الأثر عند تفسير آخر السورة .

(٥) مسند الطيالسى برقم (٢٥٤٥) .

وقال الأعمش ، عن المنِهَال ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فى قوله : ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ ﴾ قال : لا يحدث فيها أمر .

وقال قتادة وابن زيد فى قوله : ﴿ سَلَامٌ هِيَ ﴾ يعنى [١] : هى خير كلها ، ليس [٢] فيها شر إلى مطلع الفجر . ويؤيد هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد :

حدثنا حَيْوَة [٣] بن شُرَيح ، حدثنا بَقِيَّة ، حدثنى بَحير بن سعد ، عن خالد بن مَعْدَان ، عن عبادة بن الصامت : أن رسول الله ﷺ قال : « ليلة القدر فى العشر البواقى ، من قامهن ابتغاء حسبتهن ، فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهى ليل وتر : تسع أو سبع ، أو خامسة ، أو ثالثة ، أو آخر ليلة » . وقال رسول الله ﷺ : « إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بَلْجَة ، كأن فيها قمراً ساطعاً ، ساكنة سجية ، لا برد فيها ولا حر ، ولا يحل لكوكب يُرمَى به فيها حتى تصبح . وأن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ، ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ » [٤] .

وهذا إسناد حسن ، وفى المتن غرابة ، وفى بعض ألفاظه نكارة .

وقال أبو داود الطيالسى ، حدثنا زَمْعَة ، عن سلمة بن وَهْرام ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر : « ليلة سمحة طلقة ، لا حارة ولا باردة ، وتصبح شمس [٥] صبيحتها ضعيفة حمراء » [٦] .

وروى ابن أبى عاصم النبيل بإسناده عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنى رأيت ليلة القدر فأنسيتها ، وهى فى العشر الأواخر ، من لياليها ليلة [٧] طلقة بلجة ، لا حارة ولا باردة، كأن فيها قمراً ، لا يخرج شيطانها حتى يضىء فجرها » [٨] .

فصل

اختلف العلماء : هل كانت ليلة القدر فى الأمم السالفة ، أو هى من خصائص هذه الأمة ؟ على قولين :

قال أبو مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى : حدثنا مالك :أنه بلغه : أن رسول الله ﷺ أُرى أعمار الناس قبله ــ أو : ما شاء الله من ذلك ــ فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر[٩] . وقد أسند من وجه آخر .

---

(١) فى م : « قال » . (٢) فى م : « لا تحدث » . (٣) فى أ : « حدثنا عبدة » .
(٤) المسند (٥/ ٣٢٤) .
(٥) فى م : « وتصبح شمسها » .
(٦) مسند الطيالسى برقم (٢٦٨٠) وفيه : « صفيقة » بدل : « ضعيفة » .
(٧) فى أ : « لياليها وهى ليلة » .
(٨) عزاه إليه صاحب الكنز (٨/ ٥٤٠) برقم (٢٤٠٦٩) ولم أقع عليه فى السنة ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه برقم (٢١٩٠) من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر بنحوه .
(٩) الموطأ برواية الزهرى برقم (٨٨٩) .

وهذا الذى قاله مالك يقتضى تخصيص هذه الأمة بليلة القدر ، وقد نقله صاحب « العُدّة » أحد أئمة الشافعية من جمهور العلماء ، فالله أعلم . وحكى الخطابى عليه الإجماع [ونقله الرافعى جازماً به عن المذهب] (١) ، والذى دل عليه الحديث أنها كانت فى الأمم الماضين كما هى فى أمتنا .

قال أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عكرمة بن عمار : حدثنى أبو زُمَيل سِمَاك الحَنَفى : حدثنى مالك بن مَرْثَد بن عبد الله ، حدثنى مَرْثَد قال : سألت أبا ذر قلت : كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ؟ قال : أنا كنت أسأل الناس عنها ، قلت : يا رسول الله ، أخبرنى عن ليلة القدر ، أفى رمضان هى أو فى غيره ؟ قال : « بل هى فى رمضان » . قلت : تكون مع الأنبياء ما كانوا ، فإذا قبضوا رفعت ؟ أم هى إلى يوم القيامة ؟ قال : « بل هى إلى يوم القيامة » . قلت : فى أى رمضان هى ؟ قال : « التمسوها فى العشر الأول ، والعشر الأواخر » . ثم حَدّثَ رسولُ الله ﷺ وحَدّث ، ثم اهتبلت غفلته قلت : فى أى العشرين هى ؟ قال : « ابتغوها فى العشر الأواخر ، لا تسألنى عن شىء بعدها » . ثم حدّث رسول الله ﷺ ، ثم اهتبلت غفلته فقلت : يارسول الله ، أقسمت عليك بحقى عليك لَمَا أخبرتنى فى أى العشر هى ؟ فغضب على غضباً لم يغضب مثله منذ صحبته ، وقال : « التمسوها فى السبع الأواخر ، لا تسألنى عن شىء بعدها » .

ورواه النسائى عن الفلاس ، عن يحيى بن سعيد القطان ، به (٢) .

ففيه دلالة على ما ذكرناه ،وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة فى كل سنة [بعد النبى ﷺ] (٣)، لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية ، على ما فهموه من الحديث الذى سنورده بعدُ من قوله ، عليه السلام : « فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم » ؛ لأن المراد رفعُ عِلْم وقتها عيناً . وفيه دلالة على أنها ليلة القدر يختص (٤) وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور ، لا كما رُوى عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة ، من أنها توجد فى جميع السنة ، وترجى فى جميع الشهور على السواء .

وقد ترجم أبو داود فى سننه على هذا فقال : « باب بيان أن ليلة القدر فى كل رمضان » : حدثنا حُمَيد بن زَنْجُويه النسائى (٥) ، أخبرنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير، حدثنى موسى بن عقبة ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن عبد الله بن عمر قال : سُئِل رسول الله ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر ، فقال : « هى فى كل رمضان » (٦) .

وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن أبا داود قال : رواه شعبة وسفيان عن أبى إسحاق فأوقفاه .

وقد حكى عن أبى حنيفة ، رحمه الله ، رواية أنها ترجى (٧) فى جميع شهر رمضان . وهو وجه [حكاه] (٨) الغزالى ، واستغربه الرافعى جداً .

(١) زيادة من م .

(٢) المسند (٥/ ١٧١) وسنن النسائى الكبرى برقم (٣٤٢٧) .

(٣) زيادة من أ . (٤) فى م : « مختص » . (٥) فى م : « الشامى » .

(٦) سنن أبى داود برقم (١٣٨٧) .

(٧) فى م : « أنها ترتجى » . (٨) زيادة من م ، أ .

فصل

ثم قد قيل : إنها فى أول ليلة من شهر رمضان ، يحكى هذا عن أبى رَزِين . وقيل : إنها تقع ليلة سبع عشرة . وروى فيه أبو داود حديثاً مرفوعاً عن ابن مسعود . وروى موقوفاً عليه ، وعلى زيد بن أرقم ، وعثمان بن أبى العاص .

وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعى ، ويحكى عن الحسن البصرى . ووجهوه بأنها ليلة بدر، وكانت ليلة جمعة هى السابعة عشرة [(١)] من شهر رمضان ، وفى صبيحتها كانت وقعة بدر ، وهو اليوم الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾ [الأنفال :٤١] .

وقيل : ليلة تسع عشرة ، يحكى عن على وابن مسعود أيضاً ، رضى الله عنهما .

وقيل : ليلة إحدى وعشرين ؛ لحديث أبى سعيد الخدرى قال : اعتكف رسولُ الله ﷺ [فى] [(٢)] العشر الأوَل من رمضان واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : إن الذى تطلب أمامك . فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : [إن] [(٣)] الذى تطلب أمامك . ثم قام النبى ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان ، فقال : « من كان اعتكف معى فليرجع ، فإنى رأيت ليلة القدر ، وإنى أنسيتها ، وإنها [(٤)] فى العشر الأواخر فى وِتْر ، وإنى رأيت كأنى أسجد فى طين وماء ». وكان سقف المسجد جريداً من النخل ، وما نَرى فى السماء شيئاً ، فجاءت قَزَعَة فَمُطرنا ، فصلى بنا النبى ﷺ حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه . وفى لفظ : « فى صبح إحدى وعشرين » أخرجاه فى الصحيحين [(٥)] .

قال الشافعى : وهذا الحديث أصح الروايات .

وقيل : ليلة ثلاث وعشرين ؛ لحديث عبد الله بن أنيس [(٦)] فى « صحيح مسلم » [(٧)] وهو قريب السياق من رواية أبى سعيد ، فالله أعلم .

وقيل : ليلة أربع وعشرين ، قال أبو داود الطيالسى : حدثنا حماد بن سلمة ، عن الجُرَيْرى ، عن أبى نَضْرَة ، عن أبى سعيد ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » [(٨)] . إسناده رجاله ثقات .

وقال أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن يزيد بن أبى حَبِيب ، عن أبى الخير، عن الصنابحى ، عن بلال قال : قال رسول الله ﷺ :« ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » [(٩)].

---

(١) فى أ : « فى السابع عشر » .
(٢) زيادة من م .
(٣) زيادة من م ، أ .
(٤) فى م : « ثم إنها » .
(٥) صحيح مسلم برقم (١١٦٧) .
(٦) فى أ : « أويس » .
(٧) صحيح مسلم برقم (١١٦٨) .
(٨) مسند الطيالسى برقم (٢١٦٧) .
(٩) المسند (٦/ ١٢) .

ابن لهيعة ضعيف . وقد خالفه ما رواه البخارى عن أصبغ ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الخير ، عن أبى عبد الله الصنابحى قال : قال : أخبرنى بلال ــ مؤذنُ رسول الله ﷺ ــ أنها أول السبع من العشر الأواخر ، فهذا الموقوف أصح ، والله أعلم . وهكذا رُوى عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر ، والحسن ، وقتادة ، وعبد الله بن وهب: أنها ليلة أربع وعشرين . وقد تقدم فى سورة « البقرة » (١) حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً: « إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين » .

وقيل : تكون ليلة خمس وعشرين ؛ لما رواه البخارى ، عن عبد الله بن عباس : أن رسول الله ﷺ قال : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان ، فى تاسعة تبقى ، فى سابعة تبقى ، فى خامسة تبقى » . فَسَّره كثيرون بليالى الأوتار ، وهو أظهر وأشهر . وحمله آخرون على الإشفاع كما رواه مسلم عن أبى سعيد ، أنه حمله على ذلك . والله أعلم .

وقيل : إنها تكون ليلة سبع وعشرين ؛ لما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى بن كعب ، عن رسول الله ﷺ : « إنها ليلة سبع وعشرين » .

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان : سمعت عبدة وعاصماً ، عن زرّ : سألت أبىّ بن كعب قلت: أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يقول : من يُقم الحَولَ يُصبْ ليلة القدر . قال : يرحمه الله ، لقد علم أنها فى شهر رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين . ثم حلف . قلت : وكيف تعلمون ذلك ؟ قال: بالعلامة ــ أو : بالآية ــ التى أخبرنا بها ، تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها ، أعنى الشمس (٢) .

وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والأوزاعى ، عن عبدة ، عن زرّ ، عن أبى ، فذكره ، وفيه : فقال : والله الذى لا إله إلا هو ، إنها لفى رمضان ــ يحلف بما يستثنى ــ والله إنى لأعلم أى ليلة القدر هى التى أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها ، هى ليلة سبع وعشرين ، وأمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها (٣) .

وفى الباب عن معاوية ، وابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم (٤) ، عن رسول الله ﷺ : أنها ليلة سبع وعشرين . وهو قول طائفة من السلف ، وهو الجَادّة من مذهب أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، وهو رواية عن أبى حنيفة أيضاً . وقد حُكِىَ عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن ، من قوله : ﴿ هِىَ ﴾ لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة ، والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبرى ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن قتادة وعاصم : أنهما سمعا عكرمة يقول : قال ابن عباس : دعا عمر بن الخطاب

---

(١) عند تفسير الآية : ١٨٥ .

(٢) المسند (٥/ ١٣٠) .

(٣) صحيح مسلم برقم (٧٦٢) .

(٤) وانظر هذه الأحاديث وغيرها فى : الدر المنثور للسيوطى (٨ / ٥٧٠ ــ ٥٨٠) .

أصحاب محمد [١] ﷺ ، فسألهم عن ليلة القدر ، فأجمعوا على أنها فى العشر الأواخر . قال ابن عباس : فقلت لعمر : إنى لأعلم ــ أو: إنى لأظن ــ أى ليلة القدر هى ؟ فقال عمر : أى ليلة هى؟ [فقلت] [٢] : سابعة تمضى ــ أو : سابعة تبقى ــ من العشر الأواخر . فقال عمر : ومن أين علمت ذلك ؟ قال ابن عباس : فقلت : خلق الله سبع سموات ، وسبع أرضين ، وسبعة أيام ، وإن الشهر يدور على سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، ويأكل من سبع ، ويسجد على سبع ، والطواف بالبيت سبع ، ورمى الجمار سبع . . . لأشياء ذكرها . فقال عمر : لقد فطنت لأمر ما فطنا له . وكان قتادة يَزيد عن ابن عباس فى قوله : ويأكل من سبع ، قال : هو قول الله تعالى : ﴿ **فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا [وَقَضْبًا]** [٣] ﴾ الآية [عبس: ٢٧، ٢٨] [٤] .

وهذا إسناد جيد قوى ، ونصٌ [٥] غريب جداً ، والله أعلم .

وقيل : إنها تكون فى ليلة تسع وعشرين . قال أحمد بن حنبل :

حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، حدثنا سعيد بن سلمة ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عُمرَ بن عبد الرحمن ، عن عبادة بن الصامت : أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ، فقال رسول الله ﷺ : « فى رمضان ، فالتمسوها فى العشر الأواخر ، فإنها فى وِتْر إحدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، [أو تسع وعشرين] [٦] ، أو فى آخر ليلة» [٧] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ــ وهو : أبو داود الطيالسى ــ حدثنا عمران القطان، عن قتادة ، عن أبى ميمونة [٨]، عن أبى هريرة. أن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر:«إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة فى الأرض أكثر من عدد الحصى » [٩] .

تفرد به أحمد ، وإسناده لا بأس به .

وقيل : إنها تكون فى آخر ليلة ،لما تقدم من هذا الحديث آنفاً [١٠]، ولما رواه الترمذى والنسائى، من حديث عُيينة بن عبد الرحمن،عن أبيه ،عن أبى بكرة ،أن رسول الله ﷺ قال:«فى تسع يبقين ، أو سبع يبقين ، أو خمس يبقين ، أو ثلاث ، أو آخر ليلة » . يعنى : التمسوا ليلة القدر [١١] .

---

(١) فى أ : « أصحاب رسول الله » .
(٢) زيادة من م ، أ .
(٣) زيادة من المعجم الكبير (١٠/ ٣٢٢) .
(٤) المعجم الكبير (١٠/ ٣٢٢) .
(٥) فى م : « ومتن » .
(٦) زيادة من أ ، والمسند .
(٧) المسند (٥/ ٣٢١) .
(٨) فى أ : « عن أبى معاوية » .
(٩) المسند (٢/ ٥١٩) .
(١٠) فى أ : « أيضاً » .
(١١) سنن الترمذى برقم (٧٩٤) وسنن النسائى الكبرى برقم (٣٤٠٤) .

وقال الترمذى :حسن صحيح . وفى المسند من طريق أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ فى ليلة القدر : « إنها آخر ليلة » (١) .

فصل

قال [الإمام] (٢) الشافعى فى هذه الروايات: صدرت من النبى ﷺ جواباً للسائل إذا قيل له : ألتمس ليلة القدر فى الليلة الفلانية ؟ يقول : « نعم » . وإنما ليلة القدر ليلة مُعَيَّنة : لا تنتقل . نقله الترمذى عنه بمعناه . وروى عن أبى قِلابَة أنه قال : ليلة القدر تنتقل فى العشر الأواخر (٣) .

وهذا الذى حكاه عن أبى قلابة نص عليه مالك ، والثورى ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو ثور ، والمزنى ، وأبو بكر بن خُزَيمة ، وغيرهم . وهو محكى عن الشافعى ــ نقله القاضى عنه ، وهو الأشبه ــ والله أعلم .

وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت فى الصحيحين ، عن عبد الله بن عُمر : أن رجالاً من أصحاب النبى ﷺ أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر من رمضان ، فقال رسول الله ﷺ : « أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر ، فمن كان مُتحريها فَلْيَتَحرها فى السبع الأواخر » (٤) .

وفيها أيضاً عن عائشة ، رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « تَحَرَّوْا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » (٥) . ولفظه للبخارى .

ويحتج للشافعى أنها لا تنتقل ، وأنها معينة من الشهر ، بما رواه البخارى فى صحيحه ، عن عبادة بن الصامت قال : خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر ، فَتَلاحى رجلان من المسلمين ، فقال : « خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحى فلان وفلان ، فَرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة » (٦) .

وجه الدلالة منه : أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين ، لما حصل لهم العلم بعينها فى كل سنة، إذا (٧) لو كانت تنتقل لما علموا تَعيُّنها إلا ذلك العام فقط ، اللهم إلا أن يقال : إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط .

وقوله : « فتلاحى فلان وفلان فرفعت » : فيه استئناس لما يقال : إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع ، وكما جاء فى الحديث : « إن العبد ليُحرَم الرزقَ بالذَّنْبِ يُصيبه » .

وقوله : « فرفعت » أى : رفع علم تَعينها لكم ، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود ، كما يقوله

---

(١) لم أقع عليه فى المسند ، وقد ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٥٧٢) وعزاه لأحمد ، ولعلى أستدركه فيما بعد .
(٢) زيادة من أ .
(٣) سنن الترمذى (٣/ ١٥٩) .
(٤) صحيح البخارى برقم (٢٠١٥) وصحيح مسلم برقم (١١٦٥) .
(٥) صحيح البخارى برقم (٢٠١٧) وصحيح مسلم برقم (١١٦٩) .
(٦) صحيح البخارى برقم (٢٠٢٣) .
(٧) فى أ : « إذ » .

جهلة الشيعة ؛ لأنه قد قال بعد هذا : « فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة » .

وقوله : « وعسى أن يكون خيراً لكم » يعنى : عدم تعينها لكم ، فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طُلابها فى ابتغائها فى جميع محال رجائها ، فكان أكثر للعبادة ، بخلاف ما إذا علموا [(١)] عينها فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط . وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر فى ابتغائها ، ويكون الاجتهاد فى العشر الأواخر [(٢)] أكثر . ولهذا كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، حتى توفاه الله ، عز وجل . ثم اعتكف أزواجهُ من بعده . أخرجاه من حديث عائشة [(٣)] .

ولهما عن ابن عمر : كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان [(٤)] .

وقالت عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر ، أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر . أخرجاه [(٥)] .

ولمسلم عنها [(٦)]: كان رسول الله ﷺ يجتهد فى العشر ما لا يجتهد فى غيره [(٧)] .

وهذا معنى قولها : « وشد المئزر » . وقيل : المراد بذلك : اعتزال النساء . ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين ، لما رواه الإمام أحمد :

حدثنا سُرَيج ، حدثنا أبو مَعْشَر ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا بقى عشر من رمضان شَدَّ مئزره ، واعتزل نساءه . انفرد به أحمد [(٨)] .

وقد حكى عن مالك ، رحمه الله ، أن جميع ليالى العشر فى تطلب ليلة القدر على السواء ، لا يترجح منها ليلة على أخرى : رأيته فى شرح الرافعى ، رحمه الله .

والمستحب الإكثار من الدعاء فى جميع الأوقات ، وفى شهر رمضان أكثر ، وفى العشر الأخير منه ، ثم فى أوتاره أكثر . والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء : « اللهم ، إنك عَفُوٌّ تحب العفو ، فاعف عنى » ؛ لما رواه الإمام أحمد :

حدثنا يزيد ــ هو ابن هارون ــ حدثنا الجريرى [(٩)] ــ وهو سعيد بن إياس ــ عن عبد الله بن بُريدة ، أن عائشة قالت : يا رسول الله ، إن وافقت ليلة القدر فما أدعو ؟ قال : « قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو ، فاعف عنى » [(١٠)] .

---

(١) فى أ : « إذا عملوا » .

(٢) فى أ : « الأخير » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٢٠٢٦) وصحيح مسلم برقم (١١٧٢) .

(٤) صحيح البخارى برقم (٢٠٢٥) وصحيح مسلم برقم (١١٧١) .

(٥) صحيح البخارى برقم (٢٠٢٤) وصحيح مسلم برقم (١١٧٤) .

(٦) فى م : « عنهما » .

(٧) صحيح مسلم برقم (١١٧٥) .

(٨) المسند (٦/ ٦٦) .

(٩) فى م : « الجوهرى » .

(١٠) المسند (٦/ ١٨٢) .

وقد رواه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، من طريق كَهْمَس بن الحسن ، عن عبد الله بن بريدة ، عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن علمْتُ أى ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : «قولى : اللهم ، إنك عَفُو تحب العفو ، فاعف عنى » [(١)] .

وهذا لفظ الترمذى ، ثم قال : « هذا حديث حسن صحيح » . وأخرجه الحاكم فى مستدركه ، وقال : « هذا صحيح على شرط الشيخين » [(٢)] . ورواه النسائى أيضاً من طريق سفيان الثورى ، عن علقمة بن مَرثَد ، عن سليمان بن بُرَيدة عن عائشة قالت : يا رسول الله ، أرأيتَ إن وافقتُ ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : « قولى : اللهم ، إنك عَفُو تحب العفو ، فاعف عنى » [(٣)] .

ذكر أثر غريب ونبأ عجيب ، يتعلق بليلة القدر ، رواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم ، عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال :

حدثنا أبى ، حدثنا عبد الله بن أبى زياد القَطوانى ، حدثنا سيار بن حاتم ، حدثنا موسى بن سعيد ــ يعنى الراسبى ــ عن هلال أبى جبلة ، عن أبى عبد السلام ، عن أبيه ، عن كعب أنه قال : إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة ، مما يلى الجنة ، فهى على حَدّ هواء الدنيا وهواء الآخرة ، عُلوها فى الجنة ، وعروقها وأغصانها من تحت الكرسى ، فيها ملائكة لا يعلم عدّتهم [(٤)] إلا الله ، عز وجل ، يعبدون الله ، عز وجل ، على أغصانها فى كل موضع شعرة منها ملك . ومقام جبريل، عليه السلام ، فى وسطها ، فينادى الله جبريل أن ينزل فى كل ليلة قَدْر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى ، وليس فيهم ملك إلا قد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين ، فينزلون على[(٥)] جبريل فى ليلة القدر ، حين تغرب الشمس ، فلا تبقى بقعة فى ليلة القدر إلا وعليها ملك ، إما ساجد وإما قائم، يدعو للمؤمنين والمؤمنات ، إلا أن تكون كنيسة أو بيعة ، أو بيت نار أو وثن ، أو بعض أماكنكم التى تطرحون فيها الخبَث ، أو بيت فيه سكران ، أو بيت فيه مُسكر ، أو بيت فيه وثن منصوب ، أو بيت فيه جرس مُعلّق ، أو مبولة ، أو مكان فيه كساحة البيت ، فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات ، وجبريل لا يدع أحداً من المؤمنين [(٦)] إلا صافحه ، وعلامة ذلك مَن اقشعر جلدهُ ورقّ قلبه ودَمعَت عيناه ، فإن ذلك من مصافحة جبريل .

وذكر كعب أنه من قال فى ليلة القدر : « لا إله إلا الله » ، ثلاث مرات ، غَفَر الله له بواحدة، ونجا من النار بواحدة ، وأدخله الجنة بواحدة . فقلنا لكعب الأحبار : يا أبا إسحاق ، صادقاً ؟ فقال كعب [(٧)] : وهل يقول : « لا إله إلا الله » فى ليلة القدر إلا كل صادق ؟ والذى نفسى بيده ، إن ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق ، حتى كأنها على ظهره جبل ، فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر. فأول من يصعد جبريل حتى يكون فى وجه الأفق الأعلى من الشمس، فيبسط جناحيه ــ

(١) سنن الترمذى برقم (٣٥١٣) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٨٨) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٥٠) .
(٢) المستدرك (١/ ٥٣٠) .
(٣) سنن النسائى الكبرى برقم (١٠٧١٣) .
(٤) فى م ، أ : « عددهم » . (٥) فى أ : « مع » . (٦) فى أ : « من الناس » .
(٧) فى م : « كعب الأحبار » .

وله جناحان أخضران ، لا ينشرهما إلا فى تلك الساعة ـ فتصير الشمس لا شعاع لها ، ثم يدعو مَلَكاً (١) فيصعد ، فيجتمع نور الملائكة ونور جناحى جبريل ، فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة ، فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك ، فى دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ، ولمن صام رمضان احتساباً ، ودعا لمن حَدث نفسه إن عاش إلى قابل صام رمضان لله . فإذا أمسوا (٢) دخلوا السماء الدنيا ، فيجلسون حلقاً [حلقا] (٣) ، فتجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا ، فيسألونهم عن رجل رجل ، وعن امرأة امرأة (٤) ، فيحدثونهم حتى يقولوا : ماذا فعل فلان ؟ وكيف وجدتموه العامَ ؟ فيقولون : وجدنا فلانا عام أول فى هذه الليلة متعبداً ووجدناه العام مبتدعا ، ووجدنا فلانا مبتدعاً ووجدناه العام عابداً قال : فيكفون عن الاستغفار لذلك ، ويقبلون على الاستغفار لهذا ، ويقولون : وجدنا فلانا وفلانا يذكران الله ، ووجدنا فلاناً راكعاً ، وفلاناً ساجداً، ووجدناه تاليا لكتاب الله . قال : فهم كذلك يومهم وليلتهم ، حتى يصعدون إلى السماء الثانية ، ففى كل سماء يوم وليلة ، حتى ينتهوا مكانهم من (٥) سدرة المنتهى ، فتقول لهم سدرة المنتهى : يا سكانى ، حدثونى عن الناس وسموهم لى . فإن لى عليكم حقاً ، وإنى أحبُّ من أحبَّ الله . فذكر كعب أنهم يَعدُون لها ، ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم . ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول : أخبرنى بما أخبرك (٦) سكانك من الملائكة . فتخبرها ، قال : فتقول الجنة: رحمة الله على فلان ، ورحمة الله على فلانة ، اللهم عجِّلهم إلىَّ ، فيبلغ جبريل مكانه قبلهم ، فيلهمه الله فيقول : وجدت فلاناً ساجداً فاغفر له . فيغفر له ، فيسمعُ جبريلُ جميعَ حملة العرش فيقولون: رحمة الله على فلان ، ورحمة الله على فلانة ، ومغفرته (٧) لفلان ، ويقول(٨) : يا رب ، وجدت عبدك فلاناً الذى وجدته عام أول على السُّنّة والعبادة ، ووجدته العام قد أحدث حدثاً وتولى عما أمر به . فيقول الله : يا جبريل ، إن تاب فأعتبنى قبل أن يموت بثلاث ساعات غفرت له . فيقول جبريل: لك الحمد إلهى ، أنت أرحم من جميع خلقك ، وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم ، قال : فيرتج العرش وما حوله ، والحجب والسموات ومن فيهن ، تقول : الحمد لله الرحيم ، الحمد لله الرحيم .

قال : وذكر كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان ألا يعصى الله ، دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب .

آخر تفسير سورة « ليلة القدر » [ولله الحمد والمنة] (٩)

---

(١) فى م : « ملكا ملكا » . (٢) فى أ : « فإذا استووا » . (٣) زيادة من م .
(٤) فى م : « عن رجل عن رجل وعن امرأة عن امرأة » . (٥) فى أ : « فى » .
(٦) فى أ : « بما أخبروك » . (٧) فى م : « ومغفرة » . (٨) فى أ : « ويقولون » .
(٩) زيادة من م .

[تفسير] سورة « ليلة القدر »

[مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

يخبر الله[١] تعالىٰ أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل: ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة** ﴾ وهي ليلة القدر وهي من شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾.

قال ابن عباس(١) وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال تعالىٰ معظمًا لشأن ليلة القدر، التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها، فقال: ﴿ **وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾.

قال أبو عيسىٰ الترمذي(٢) عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا القاسم بن الفضل الحداني، عن يوسف بن سعد قال: قام رجل إلىٰ الحسن ابن علي بعد ما بايع معاوية فقال: سودت وجوه المؤمنين - أو: يا مسود وجوه المؤمنين - فقال: لا تؤنبني - رحمك الله - فإن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أري بني أمية علىٰ منبره، فساءه ذلك، فنزلت: ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ يا محمد، يعني نهرًا في الجنة، ونزلت: ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾، يملكها بعدك بنو أمية يا محمد. قال القاسم: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يومًا ولا تنقص يومًا.

---

(١) تقدم تخريجه في الإسراء رقم (٣٧٣)

(٢) سنن الترمذي في كتاب: التفسير، باب: ومن سورة ليلة القدر، حديث (٣٣٤٧) (٧٩/٩).

---

[١] - سقط من ز.

ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا [من هذا الوجه][١] من حديث القاسم ابن الفضل ، وهو ثقة وثقه يحيىٰ القطان وابن مهدي . قال : وشيخه يوسف بن سعد - ويقال : يوسف بن مازن - رجل مجهول ، ولا نعرف هذا الحديث ، علىٰ هذا اللفظ إلا من هذا الوجه .

وقد روىٰ هذا الحديث الحاكم في مستدركه(٣) ، من طريق القاسم بن الفضل ، عن يوسف ابن مازن ، به . وقول الترمذي : إن يوسف هذا مجهول - فيه نظر ، فإنه قد روىٰ عنه جماعة ، منهم : حماد بن سلمة ، وخالد الحذاء ، ويونس بن عبيد . وقال فيه يحيىٰ بن معين : هو مشهور ، وفي رواية عن ابن معين : هو ثقة . ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل ، عن عيسىٰ بن مازن ، كذا قال ، وهذا يقتضي اضطرابًا في هذا الحديث ، والله أعلم . ثم هذا الحديث علىٰ كل تقدير منكر جدًا ، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة[٢] أبو الحجاج المزي : هو حديث منكر .

قلت : وقول القاسم بن الفضل الحداني : إنه حسب مدة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يومًا[٣] ولا تنقص ، ليس بصحيح ، فإن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه استقل بالملك[٤] حين سلم إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين ، واجتمعت البيعة لمعاوية ، وسمي ذلك عام الجماعة ، ثم استمروا فيها[٥] متتابعين بالشام وغيرها ، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز ، وبعض البلاد قريبًا من تسع سنين ، لكن لم تزل يدهم[٦] عن الإمرة بالكلية ، بل عن بعض البلاد ، إلىٰ أن استلبهم بنو العباس الخلافة [ ][٧] سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة ، وذلك أزيد من ألف شهر ، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر ، وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير ، وعلىٰ هذا فتقارب ما قاله للصحة في الحساب ، والله أعلم .

ومما يدل علىٰ ضعف هذا الحديث أنه سيق لذم دولة بني أمية ، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق ، فإن تفضيل ليلة القدر علىٰ أيامهم لا يدل علىٰ ذم أيامهم ، فإن ليلة القدر شريفة جدًا ، والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر ، فكيف تمدح بتفضيلها علىٰ أيام بني أمية

(٣) والحاكم (٣/١٧٠ - ١٧١) . قال الحاكم : هذا إسناد صحيح ، وهذا القائل للحسن بن علي هذا القول هو سفيان بن الليل صاحب أبيه . وتعقبه الذهبي بقوله : وروى عن يوسف نوح بن قيس أيضًا ، وما علمت أن أحدًا تكلم فيه ، والقاسم وثقوه، رواه عنه أبو داود والتبوذكي، وما أدرى آفته من أين.

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : فيما .
[٦] - في ز : مدتهم .
[٧] - في ت : في .

التي هي مذمومة ، بمقتضىٰ هذا الحديث ، وهل هذا إلا كما قال القائل :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ إِذَا قِيلَ : إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَىٰ مِنَ العَصَا

وقال آخر :

إِذَا أَنْتَ فَضَّلْتَ امْرَأً ذَا بَرَاعَةٍ عَلَىٰ نَاقِص ، كَانَ المديحُ مِنَ النَّقْصِ

ثم الذي يفهم من ولاية الألف الشهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية ، والسورة مكية ، فكيف يحال علىٰ ألف شهر هي دولة بني أمية ، ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها ، والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة ، فهذا كله مما يدل علىٰ ضعف هذا الحديث ونكارته ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم[٤] : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا مسلم - يعني ابن خالد - عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلًا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر ، قال : فعجب المسلمون من ذلك ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر .

وقال ابن جرير[٥] : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام بن سلم ، عن المثنىٰ بن الصباح ، عن مجاهد قال : كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتىٰ يصبح ، ثم يجاهد العدو بالنهار حتىٰ يمسي ، ففعل ذلك ألف شهر ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل .

وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، حدثني مسلمة بن عُلَيّ ، عن علي ابن عروة قال : ذكر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا أربعة من بني إسرائيل ، عبدوا الله ثمانين عامًا ، لم يعصوه طرفة عين فذكر: أيوب ، وزكريا ، وحزقيل بن العجوز ، ويوشع بن نون . قال : فعجب أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من ذلك ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد ؛ عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين[١] سنة ، لم يعصوه طرفة عين ، فقد أنزل الله خيرًا من ذلك . فقرأ عليه : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ ، هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك . قال : فسر بذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم والناس معه .

---

(٤) أخرجه البيهقي في سننه (٣٠٦/٤) كتاب الصيام ، باب : فضل ليلة القدر ، من طريق مسلم بن خالد ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٢٩/٦) نسبته إلى ابن المنذر . قال البيهقي : وهو مرسل .

(٥) أخرجه الطبري (٢٥١/٣٠ - ٢٦٠) .

---

[١] - في ز ، خ : ثمانون .

وقال سفيان الثوري : بلغني عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر . قال : عملها ، صيامها وقيامها خير من ألف شهر . رواه ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر ، ليس في تلك الشهور ليلة القدر . وهكذا قال قتادة بن دعامة ، والشافعي ، وغير واحد .

وقال عمرو[١] بن قيس الملائي : عمل فيها خير من عمل ألف شهر .

وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر - ليس[٢] فيها ليلة القدر - هو اختيار ابن جرير . وهو الصواب لا ما عداه ، وهو كقوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « رباط ليلة في سبيل اللّٰه خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل » . رواه أحمد(٦) .

وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة ، ونية صالحة : أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها ، وقيامها » (٧)إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك .

وقال الإِمام أحمد(٨) : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي هريرة ؛ قال : لما حضر رمضان قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، افترض اللّٰه عليكم صيامه[٣] ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » . ورواه النسائي من حديث أيوب به .

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ، ثبت في الصحيحين(٩) عن أبي هريرة

(٦) المسند (٦٥/١) (٤٧٠) بلفظ : رباط يوم بدل ليلة . وصححه أحمد شاكر .

(٧) المسند (٩/٤ ، ١٠٤) . وأبو داود في كتاب : الطهارة ، باب : في الغسل يوم الجمعة ، حديث (٣٤٥) (٩٥/١) . والترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة ، حديث (٤٩٦) (٢/ ١٢٨ - ١٢٩) . والنسائي (٩٥/٣ - ٩٦) كتاب الجمعة ، باب : فضل غسل يوم الجمعة . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في الغسل يوم الجمعة ، حديث (١٠٨٧) (٣٤٦/١) . وصححه الحاكم (٢٨١/١) ، وابن حبان (٢٧٨١) . كلهم من حديث أوس بن أوس - رضي الله عنه . وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٦٩٠) . وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وغيره .

(٨) المسند (٢٣٠/٢) (٧١٤٨) . والنسائي (١٢٩/٤) كتاب الصيام ، باب : ذكر الاختلاف على معمر فيه .

(٩) صحيح البخاري في كتاب : الصوم ، باب : من صام رمضان إيمانا واحتسابًا ونية ، حديث =

[١] - في ز : عمر .

[٢] - في ت : وليس .

[٣] - في ز : قيامه .

أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » وقوله : ﴿ **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر** ﴾ ، أي : يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها ، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة ، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له .

وأما الروح فقيل : المراد به هاهنا جبريل - عليه السلام - فيكون من باب عطف الخاص علىٰ العام . وقيل : هم ضرب من الملائكة . كما تقدم في سورة النبأ . والله أعلم .

وقوله : ﴿ **من كل أمر** ﴾ قال مجاهد : سلام هي من كل أمر .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا عيسىٰ بن يونس ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **سلام هي** ﴾ ، قال : هي سالمة ، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا أو يعمل فيها أذىٰ .

وقال قتادة وغيره : تقضى فيها الأمور وتقدر الآجال والأرزاق كما قال تعالى : ﴿ **فيها يفرق كل أمر حكيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **سلام هي حتىٰ مطلع الفجر** ﴾ ، قال سعيد بن منصور : حدثنا هشيم ، عن أبي إسحاق ، عن الشعبي في قوله تعالىٰ : ﴿ **من كل أمر * سلام هي حتىٰ مطلع الفجر** ﴾ قال : تسلم[١] الملائكة ليلة القدر علىٰ أهل المساجد ، حتىٰ يطلع الفجر .

وروى ابن جرير عن ابن عباس : أنه كان يقرأ : (من كل امرئ سلام هي حتى مطلع الفجر) .

وروىٰ البيهقي في كتابه « فضائل الأوقات » عن علي أثرًا غريبًا في نزول الملائكة ، ومرورهم علىٰ المصلين ليلة القدر ، وحصول البركة للمصلين .

وروى ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار أثرًا غريبًا عجيبًا مطولًا جدًا ، في تنزل الملائكة من سدرة المنتهىٰ صحبة جبريل - عليه السلام - إلىٰ الأرض ، ودعائهم[٢] للمؤمنين والمؤمنات .

وقال أبو داود الطيالسي(١٠) : حدثنا عمران - يعني القطان - عن قتادة ، عن أبي ميمونة ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال في ليلة القدر : « إنها ليلة سابعة -

= (١٩٠١) (٤/١١٥) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، حديث (٧٦٠/١٧٥) (٦/٦٠) .

(١٠) أخرجه الطيالسي في مسنده ص (٣٣٢) حديث (٢٥٤٥) .

[١] - في ز : تسليم . [٢] - في ز ، خ : ودعاؤهم .

أو : تاسعة - وعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصىٰ » وقال الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ في قوله : ﴿ **من كل أمر * سلام** ﴾ قال : لا يحدث فيها أمر .

وقال قتادة وابن زيد في قوله : ﴿ **سلام هي** ﴾ ، يعني : هي خير كلها ، ليس فيها شر إلىٰ مطلع الفجر . ويؤيد هذا المعنىٰ ما رواه الإمام أحمد(١١) :

حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا بقية ، حدثني بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن عبادة بن الصامت : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « ليلة القدر في العشر البواقي ، من قامهن ابتغاء حسبتهن فإن اللّٰه يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهي ليلة وتر : تسع ، أو سبع ، أو خامسة ، أو ثالثة ، أو آخر ليلة » . وقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة[١] ، كأن فيها قمرًا ساطعًا ، ساكنة ساجية ، لا برد فيها ولا حر ، ولا يحل[٢] لكوكب يرمىٰ به فيها[٣] حتىٰ تصبح . وإن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ، ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، ولا يحل للشيطان[٤] أن يخرج معها يومئذ » وهذا إسناد حسن وفي المتن غرابة وفي بعض ألفاظه نكارة .

وقال أبو داود الطيالسي(١٢) : حدثنا زمعة ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال في ليلة القدر : « ليلة سمحة طلقة ، لا حارة ولا باردة ، وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء » .

وروى ابن أبي عاصم النبيل بإسناده عن جابر بن عبد اللّٰه ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « إني رأيت ليلة القدر فأنسيتها ، وهي في العشر الأواخر من لياليها وهي[٥] ليلة طلقة بلجة ، لا حارة ولا باردة ، كأن فيها قمرًا ، لا يخرج شيطانها حتىٰ يضيء فجرها » .

[فصل]

اختلف العلماء : هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة[٦] ، أو هي من خصائص هذه الأمة ؟ علىٰ قولين :

---

(١١) المسند (٥/٣٢٣) (٢٢٨٧٠) .

(١٢) أخرجه الطيالسي في مسنده ص(٣٤٩) حديث (٢٦٨٠) .

---

[١] - في خ : بالجة .

[٢] - في ز ، خ : يحلي .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز : الشيطان .

[٥] - سقط من ت .

[٦] - في خ : السابقة .

قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري : حدثنا مالك(١٣) ؛ أنه بلغه : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أري أعمار الناس قبله - أو : ما شاء اللّٰه من ذلك - فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ[١] غيرهم في طول العمر فأعطاه اللّٰه ليلة القدر ، خيرًا[٢] من ألف شهر . وقد أسند من وجه آخر . وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر ، وقد نقله صاحب « العدة » أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء ، فاللّٰه أعلم . وحكىٰ الخطابي عليه الإِجماع والذي دل عليه الحديث أنها كانت في الأمم الماضين كما هي في أمتنا .

قال أحمد بن حنبل(١٤) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن عكرمة بن عمار : حدثني أبو زميل سماك الحنفي : حدثني مالك بن مرثد بن عبد اللّٰه ، حدثني مرثد[٣] قال : سألت أبا ذر قلت : كيف سألت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن ليلة القدر ؟ قال : أنا كنت أسأل الناس عنها ، قلت : يا رسول اللّٰه ، أخبرني عن ليلة القدر ، أفي رمضان هي أو في غيره ؟ قال : «بل هي في رمضان » . قلت : تكون مع الأنبياء ما كانوا ، فإذا قبضوا رفعت ؟ أم هي إلىٰ يوم القيامة ؟ قال ؟ : « بل هي إلىٰ يوم القيامة » . قلت : في أي رمضان هي ؟ قال : « التمسوها في العشر الأول ، والعشر الأواخر » . ثم حدث رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وحدث ، ثم اهتبلت غفلته قلت : في أي العشرين هي ؟ قال : « ابتغوها في العشر الأواخر ، لا تسألني عن شيء بعدها » . ثم حدث رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثم اهتبلت غفلته فقلت : يا رسول اللّٰه ، أقسمت عليك بحقي عليك لما أخبرتني في أي العشر هي ؟ فغضب علي غضبًا لم يغضب مثله منذ صحبته ، وقال : « التمسوها في السبع الأواخر ، لا تسألني عن شيء بعدها . ورواه النسائي عن الفلاس عن يحيى بن سعيد القطان ، به .

ففيه دلالة علىٰ ما ذكرناه ، وفيه أنها تكون باقية إلىٰ يوم القيامة في كل سنة لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية ، علىٰ ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعد من قوله عليه السلام : « فرفعت ، وعسىٰ أن يكون خيرًا لكم » ؛ لأن المراد رفع علم وقتها عينًا . وفيه دلالة علىٰ أن ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور ، لا كما روي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة ، من أنها توجد في جميع السنة ، وترتجى في جميع الشهور علىٰ السواء .

---

(١٣) أخرجه مالك في موطئه ، في كتاب : الاعتكاف ، باب : ما جاء في ليلة القدر ، حديث (١٥) (١/ ٢٦٣) بنحو ذلك .

(١٤) المسند (٥/١٧١) (٢١٥٨١) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الاعتكاف ، باب : ليلة القدر في رمضان ، حديث (٣٤٢٧) (٢/٢٧٨) .

---

[١] - في ز : يبلغ . [٢] - في ز : خير .

[٣] - في ز ، خ : يزيد .

وقد ترجم أبو داود في سننه (١٥) على هذا فقال : « باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان » : حدثنا حميد بن زنجويه[١] النسائي ، أخبرنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، حدثني موسىٰ بن عقبة ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن عبد اللّٰه بن عمر قال : سئل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وأنا أسمع - عن ليلة القدر ، فقال : هي في كل رمضان .

وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن أبا داود قال : رواه شعبة وسفيان عن أبي إسحاق فأوقفاه .

وقد حكي عن أبي حنيفة - رحمه اللّٰه - رواية أنها ترجىٰ في جميع شهر رمضان . وهو وجه حكاه[٢] الغزالي ، واستغربه الرافعي جدًا .

[فصل]

ثم قد قيل : إنها تكون في أول ليلة من شهر رمضان ، يحكىٰ هذا عن أبي رزين . وقيل : إنها تقع ليلة سبع عشرة . وروىٰ فيه أبو داود (١٦) حديثًا مرفوعًا ، عن ابن مسعود ، وروي موقوفًا عليه ، وعلى زيد بن أرقم (١٧) وعثمان بن أبي العاص .

وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعي ، ويحكىٰ عن الحسن البصري . ووجهوه بأنها ليلة بدر ، وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان ، وفي صبيحتها كانت وقعة بدر ، وهو اليوم الذي قال اللّٰه تعالىٰ فيه : ﴿ **يوم الفرقان** ﴾ .

وقيل : ليلة [تسعة عشر][٣] ، يحكى عن عليّ ، وابن مسعود أيضًا رضي الله عنهما .

وقيل : ليلة إحدىٰ وعشرين ، لحديث أبي سعيد الخدري قال : اعتكف رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : إن الذي تطلب أمامك . فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : الذي تطلب أمامك ثم قام النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خطيبًا صبيحة عشرين من رمضان ، فقال : « من كان اعتكف معي فليرجع ، فإني رأيت ليلة القدر ، وإني أنسيتها ، وإنها في العشر الأواخر في وتر ، وإني رأيت كأني

---

(١٥) سنن أبي داود في كتاب : الصلاة ، باب : من قال : هي في كل رمضان ، حديث (١٣٨٧) (٢/٥٣ - ٥٤) .

(١٦) سنن أبي داود في كتاب : الصلاة ، باب : من روى أنها ليلة سبع عشرة ، حديث (١٣٨٤) (٢/٥٣).

(١٧) أخرجه الطبراني (٥/١٩٨) (٥٠٧٩) أن حوطًا سأل زيد بن أرقم ... فذكر نحو ذلك . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٨١) : وحوط ، قال البخاري : حديثه منكر .

---

[١] - في ز ، خ : رعويه .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - في خ : تسع عشر ة .

أسجد في طين وماء » . وكان سقف المسجد جريدًا من النخل ، وما نرىٰ[١] في السماء شيئًا ، فجاءت قزعة فمطرنا ، فصلىٰ بنا النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ رأيت أثر الطين والماء علىٰ جبهة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تصديق رؤياه وفي لفظ : « في صبح إحدى وعشرين » أخرجاه في الصحيحين(١٨) . قال الشافعي : وهذا الحديث أصح الروايات .

وقيل : ليلة ثلاث وعشرين ، لحديث عبد الله بن أنيس في صحيح مسلم(١٩) ، وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد ، فالله أعلم .

وقيل : ليلة أربع وعشرين ، قال أبو داود الطيالسي(٢٠) : حدثنا حماد بن سلمة ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » إسناده رجاله ثقات .

وقال أحمد(٢١) : حدثنا موسىٰ بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن الصنابحي ، عن بلال ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » .

ابن لهيعة ضعيف . وقد خالفه ما رواه البخاري(٢٢) عن أصبغ ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن أبي عبد اللَّه الصنابحي قال[٢] : أخبرني بلال مؤذن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنها أول السبع من العشر الأواخر . فهذا الموقوف أصح ، واللَّه أعلم . وهكذا روي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر ، والحسن ، وقتادة ، وعبد اللَّه بن وهب : أنها ليلة أربع وعشرين . وقد تقدم في « سورة البقرة » حديث واثلة بن الأسقع(٢٣) مرفوعًا : « إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين » .

---

(١٨) صحيح البخاري في كتاب : الأذان ، باب : السجود على الأنف والسجود على الطين ، حديث (٨١٣) (٢٩٨/٢) واللفظ له . وأطرافه في : [٦٦٩ ، ٨٣٦ ، ٢٠١٦ ، ٢٠١٨ ، ٢٠٢٧ ، ٢٠٣٦، ٢٠٤٠] . ومسلم في كتاب : الصيام ، باب : فضل ليلة القدر ، حديث (١١٦٧/٢١٥) (٨٧/٨ - ٨٨). كلاهما من طريق أبي مسلمة عن أبي سعيد - رضي الله عنه . والذي في أطراف حديث البخاري وفي مسلم (٢١٣، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ /١١٦٧) دون ذكر اعتكاف النبي ﷺ العشر الأول .

(١٩) صحيح مسلم في الموضع السابق (١١٦٨/٢١٨) (٩١/٨) .

(٢٠) مسند الطيالسي ص (٢٨٨) حديث (٢١٦٧) .

(٢١) المسند (١٢/٦) (٢٣٩٩٧) .

(٢٢) صحيح البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : (٨٨٥) حديث (٤٤٧٠) (١٥٣/٨) .

(٢٣) تقدم تخريجه في سورة البقرة ، آية (١٨٥) .

---

[١] - في ز : يرى .

[٢] - في ت : قال : قال .

وقيل : تكون ليلة خمس وعشرين ، لما رواه البخاري(٢٤) ، عن عبد الله بن عباس : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ، في تاسعة تبقىٰ ، في سابعة تبقىٰ ، في خامسة تبقىٰ » فسره كثيرون بليالي الأوتار وهو أظهر وأشهر، وحمله آخرون على الإشفاع كما رواه مسلم(٢٥) عن أبي سعيد أنه حمله على ذلك. والله أعلم.

وقيل: إنها تكون ليلة سبع وعشرين؛ لما رواه مسلم(٢٦) في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين .

قال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا سفيان : سمعت عبدة وعاصمًا[١] ، عن زر : سألت أُبي بن كعب قلت : أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر . قال : يرحمه الله ، لقد علم أنها في شهر رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين . ثم حلف . قلت : وكيف تعلمون ذلك ؟ قال : بالعلامة - أو : بالآية - التي أخبرنا بها ، تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها ، أعني الشمس .

وقد رواه مسلم(٢٨) من طريق سفيان بن عيينة وشعبة ، والأوزاعي ، عن عبدة[٢] ، عن زر ، عن أبي ... فذكره ، وفيه فقال : والله الذي لا إله إلا هو ، إنها لفي رمضان - يحلف ما يستثني - ووالله إني لأعلم أي ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بقيامها ، هي ليلة سبع وعشرين ، وأمارتها أن تطلع الشمس في [صبيحة يومها][٣] بيضاء لا شعاع لها .

وفي الباب عن معاوية ، وابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : أنها ليلة سبع وعشرين . وهو قول طائفة من السلف ، وهو الجادة من مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله وهو رواية عن أبي حنيفة أيضًا . وقد حُكي عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من[٤] القرآن ، من قوله : ﴿ هي ﴾ لأنها الكلمة السابعة

---

(٢٤) صحيح البخاري ، كتاب : فضل ليلة القدر ، باب : تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ، حديث (٢٠٢١ ، ٢٠٢٢) (٢٦٠/٤) .

(٢٥) صحيح مسلم ، كتاب : الصيام ، باب : فضل ليلة القدر حديث (١١٦٧/٢١٧) (٨٩/٨ - ٩٠) .

(٢٦) صحيح مسلم في الموضع السابق ، حديث (٢٢٠، ٧٦٢/٢٢١) (٩١/٨- ٩٣) .

(٢٧) المسند (١٣٠/٥) (٢١٢٧٣) .

(٢٨) صحيح مسلم ، كتاب : الصيام، باب : فضل ليلة القدر حديث (٢٢٠ ، ٧٦٢/٢٢١) (٩١/٨ ، ٩٣) ، وفي كتاب : صلاة المسافرين ، باب : الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، حديث (١٧٩، ٧٦٢/١٨٠) (٦٢/٦- ٦٤) .

---

[١] - في ز ، خ : وهاشمًا .

[٢] - في ز : عبيدة .

[٣] - في خ : صبيحتها .

[٤] - في ز : في .

والعشرون من السورة ، والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٢٩) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة وعاصم : أنهما سمعا عكرمة يقول : قال ابن عباس : دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر ، فأجمعوا علىٰ[١] أنها في العشر الأواخر . قال ابن عباس : فقلت لعمر : إني لأعلم - أو : إني لأظن - أي ليلة القدر هي؟ فقال عمر : أي ليلة هي ؟ [فقلت][٢] : سابعة تمضي - أو : سابعة تبقىٰ - من العشر الأواخر . فقال عمر : ومن أين علمت ذلك ؟ قال ابن عباس فقلت : خلق الله سبع سموات ، وسبع[٣] أرضين ، وسبعة[٤] أيام ، وإن الشهر يدور علىٰ سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، ويأكل من سبع ، ويسجد علىٰ سبع ، والطواف بالبيت سبع ، ورمي الجمار سبع ... لأشياء ذكرها . فقال عمر : لقد فطنت لأمر ما فطنا له . وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله : ويأكل من سبع ، قال : هو قول الله تعالىٰ : ﴿ **فأنبتنا فيها حبًا وعنبًا** ﴾ ... الآية .

وهذا إسنادٌ جيد قوي ونص غريب جدًا ، والله أعلم .

وقيل : إنها تكون في ليلة تسع[٥] وعشرين . قال أحمد بن حنبل(٣٠) :

حدثنا أبو[٦] سعيد مولىٰ [بني هاشم][٧] ، حدثنا سعيد بن سلمة ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عمر بن عبد الرحمن ، عن عبادة بن الصامت : أنه سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن ليلة القدر ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « في رمضان ، فالتمسوها في العشر الأواخر ، فإنها في وتر إحدىٰ وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، [أو تسع وعشرين][٨] ، أو في آخر ليلة » .

وقال الإمام أحمد(٣١) : حدثنا سليمان[٩] بن داود - وهو : أبو داود الطيالسي - حدثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن أبي ميمونة ، عن أبي هريرة . أن رسول الله صلىٰ الله عليه

(٢٩) معجم الطبراني (١٠/٣٢٢) (١٠٦١٨) .
(٣٠) المسند (٥/٣١٨) (٢٢٨١٦) . قال الهيثمي في « المجمع » (٣/١٧٨): رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وفيه كلام وقد وثق .
(٣١) المسند (٢/٥١٩) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في ت : سبعة .
[٤] - في ز : سبع .
[٥] - في خ : سبع .
[٦] - في ز ، خ : ابن .
[٧] - في ز : ابن هشام .
[٨] - سقط من ت .
[٩] - في ز : سعيمان . كذا .

وسلم قال في ليلة القدر : « إنها[١] ليلة سابعة - أو تاسعة - وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصىٰ » .

تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به .

وقيل : إنها تكون في آخر ليلة ، لما تقدم من هذا الحديث آنفًا ، ولما رواه الترمذي(٣٢) والنسائي ، من حديث عيينة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي بكرة أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « في تسع يبقين ، أو سبع يبقين ، أو خمس يبقين ، أو ثلاث ، أو آخر ليلة » . يعني : التمسوا ليلة القدر وقال الترمذي : حسن صحيح .

وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في ليلة القدر : « إنها آخر ليلة » .

[فصل]

قال الشافعي في هذه الروايات : صدرت من النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جوابًا للسائل إذا قيل له : ألتمس ليلة القدر في الليلة الفلانية ؟ يقول : « نعم » . وإنما ليلة القدر ليلة معينة[٢] : لا تنتقل . نقله الترمذي عنه بمعناه وروى عن أبي قلابة أنه قال : [ليلة القدر][٣] تنتقل في العشر الأواخر . وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك ، والثوري ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو ثور والمزني ، وأبو بكر بن خزيمة ، وغيرهم . وهو محكي عن الشافعي - نقله القاضي عنه ، وهو الأشبه - واللّٰه أعلم .

وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين(٣٣) عن عبد الله بن عمر : أن رجالًا من أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أرىٰ رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر » وفيهما(٣٤) أيضًا عن عائشة رضي اللّٰه عنها أن رسول

---

(٣٢) سنن الترمذي في كتاب : الصوم ، باب : ما جاء في ليلة القدر ، حديث (٧٩٤) (١٣٧/٣) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الاعتكاف ، باب : والتماس ليلة القدر لثلاث بقين من الشهر ، حديث (٣٤٠٣) (٢٧٣/٢) .

(٣٣) أخرجه البخاري في كتاب : التهجد ، باب : فضل من تعار من الليل فصلى ، حديث (١١٥٨) (٣/ ٤٠) ، وأطرافه في : [٢٠١٥ ، ٦٩٩١] . ومسلم في كتاب : الصيام ، باب : فضل ليلة القدر ، حديث (١١٦٥/٢٠٥) (٨٢/٨) .

(٣٤) أخرجه البخاري في كتاب : فضل ليلة القدر ، باب : تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر =

---

[١] - في خ : إنها في .

[٢] - في ز ، خ : مقيدة .

[٣] - سقط من ز ، خ .

الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « تحروا ليلة القدر في الوتر من[١] العشر الأواخر من رمضان » ولفظه للبخاري .

ويحتج للشافعي أنها لا تنتقل ، وأنها معينة من الشهر ، بما رواه البخاري(٣٥) في صحيحه ، عن عبادة بن الصامت قال : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر ، فتلاحىٰ رجلان من المسلمين ، فقال : « خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحىٰ فلان وفلان ، فرفعت ، وعسىٰ أن يكون خيرًا لكم ، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » وجه الدلالة منه : أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين ، لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة ، إذ لو كانت تنتقل لما علموا تعينها إلا ذلك العام فقط ، اللّهم إلا أن يقال : إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط .

وقوله : « فتلاحىٰ فلان وفلان فرفعت » : فيه استئناس لما يقال : إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع ، وكما جاء في الحديث(٣٦) : « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » .

وقوله : « فرفعت » أي : رفع علم تعينها لكم ، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود ، كما يقوله جهلة الشيعة ، لأنه قد قال بعد هذا : « فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » .

وقوله : « وعسىٰ أن يكون خيرًا لكم » ، يعني عدم تعيينها[٢] لكم ، فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها ، فكان أكثر للعبادة ، بخلاف ما إذا علموا عينها[٣] فإنها كانت الهمم تتقاصر علىٰ قيامها فقط . وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها ، ويكون الاجتهاد في العشر الأواخر أكثر . ولهذا كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، حتىٰ توفاه الله عز وجل . ثم اعتكف أزواجه من بعده . أخرجاه من حديث عائشة(٣٧) .

= حديث (٢٠١٧) (٤/٢٥٩) . وطرفاه في [٢٠١٩ ، ٢٠٢٠] . ومسلم في كتاب : الصيام ، باب : فضل ليلة القدر ، حديث (٢١٩/١١٦٩) (٨/٩١) .

(٣٥) أخرج البخاري في كتاب : فضل ليلة القدر ، باب : رفع معرفة ليلة القدر لتلاحى الناس ، حديث (٢٠٢٣) (٤/٢٦٧) .

(٣٦) أخرجه أحمد (٥/٢٧٧) (٢٢٤٨٧) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الرقائق كما في تحفة الأشراف (٢/١٣٣) (٢٠٩٣) . وابن ماجة في المقدمة ، باب : في القدر ، حديث (٩٠) (١/٣٥) . قال البوصيري في الزوائد (١/٦١) : سألت شيخنا أبا الفضل العراقي عن هذا الحديث ، فقال : هذا حديث حسن . اهـ .

(٣٧) أخرجه البخاري في كتاب : الاعتكاف ، باب : الاعتكاف في العشر الأواخر ، حديث (٢٠٢٦) =

---

[١] - في ز : في .

[٢] - في ت : تعينها .

[٣] - في ت : تعينها .

ولهما عن ابن عمر(٣٨) : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان وقالت عائشة : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا دخل العشر ، أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر . أخرجاه(٣٩) .

ولمسلم(٤٠) عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره .

وهذا معنىٰ قولها : « وشد المئزر » . وقيل : المراد بذلك : اعتزال النساء . ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين ، لما رواه الإمام أحمد(٤١) :

حدثنا سريج ، حدثنا أبو معشر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا بقي عشر من رمضان شد مئزره ، واعتزل نساءه .

انفرد به أحمد وقد حكي عن مالك رحمه الله أن جميع ليالي العشر في[١] تطلب ليلة القدر علىٰ السواء ، لا يترجح منها ليلة علىٰ أخرىٰ ، رأيته في شرح الرافعي رحمه الله .

والمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات ، وفي شهر رمضان أكثر ، وفي العشر الأخير منه[٢] ، ثم في أوتاره أكثر . والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء : « اللهم ؛ إنك عفو تحب العفو ، فاعف عني » ، لما رواه الإمام أحمد(٤٢) :

حدثنا يزيد - هو ابن هارون - حدثنا الجريري - وهو : سعيد بن إياس - عن عبد الله بن بريدة : أن عائشة قالت : يا رسول الله ، إن وافقت ليلة القدر فما أدعو ؟ قال : « قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » وقد رواه الترمذي(٤٣) ، والنسائي ، وابن ماجة ، من

= (٢٧١/٤) . ومسلم في كتاب : الاعتكاف ، باب : اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، حديث (٣ - ٥/ ١١٧٢) (٩٧/٨ - ٩٨) .

(٣٨) أخرجه البخاري في كتاب : الاعتكاف ، باب : الاعتكاف في العشر الأواخر ، والاعتكاف في المساجد كلها ، حديث (٢٠٢٥) (٢٧١/٤) . ومسلم في كتاب : الاعتكاف ، باب : اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، حديث (١١٧١/١) (٩٦/٨) .

(٣٩) أخرجه البخاري في كتاب : فضل ليلة القدر ، باب : العمل في العشر الأواخر من رمضان ، حديث (٢٠٢٤) (٢٦٩/٤) . ومسلم في كتاب : الاعتكاف ، باب : الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان ، حديث (١١٧٤/٧) (١٠٠/٨) .

(٤٠) أخرجه مسلم في الموضع السابق ، حديث (١١٧٥/٨) (١٠١/٨) .

(٤١) أخرجه أحمد (٦٦/٦) (٢٤٤٨٨) .

(٤٢) أخرجه أحمد (١٨٢/٦) (٢٥٦٠٢) .

(٤٣) والترمذي في كتاب : الدعوات ، باب : أي الدعاء أفضل ، حديث (٢٥٠٨) (١٧٧/٩) . والنسائي =

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - سقط من ز ، خ .

طريق كهمس ابن الحسن عن عبد الله بن بريدة ، عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن علمت أي ليلة[١] ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : « قولي : اللّهم ، إنك عفو تحب العفو ، فاعف عني » .

وهذا لفظ الترمذي ثم قال: هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه الحاكم في مستدركه(٤٤) ، وقال : « هذا صحيح على شرط الشيخين . ورواه النسائي أيضًا من طريق سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة عن عائشة قالت[٢] : يا رسول الله ؛ أرأيت إن وافقت ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : « قولي اللّهم ، إنك عفو تحب العفو ، فاعف عني » .

ذكر أثر غريب ونبأ عجيب ، يتعلق بليلة القدر ، رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم ، عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال :

حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني ، حدثنا سيار بن حاتم ، حدثنا موسى بن سعيد - يعني الراسبي - عن هلال [ ][٣] أبي جبلة عن أبي عبد السلام ، عن أبيه ، عن كعب ؛ أنه قال : إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة[٤] ، مما يلي الجنة ، فهي على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة ، علوها[٥] في الجنة ، وعروقها وأغصانها من[٦] تحت الكرسي ، فيها ملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله - عز وجل - يعبدون الله - عز وجل - على أغصانها في كل موضع شعرة[٧] منها ملك . ومقام جبريل - عليه السلام - في وسطها ، فينادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلة قدر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى ، وليس فيهم ملك إلا قد أعطي الرأفة والرحمة للمؤمنين ، فينزلون[٨] على جبريل في ليلة القدر ، حين تغرب الشمس ، فلا تبقى بقعة في ليلة القدر إلا وعليها ملك ، إما ساجد وإما قائم ، يدعو للمؤمنين والمؤمنات ، إلا أن تكون كنيسة أو بيعة ، أو بيت نار أو وثن ، أو بعض أماكنكم التي تطرحون فيها الخبث ، أو بيت فيه سكران ، أو بيت فيه مسكر ، أو بيت فيه وثن منصوب ، أو بيت فيه جرس معلق ، أو

= في الكبرى في كتاب : النعوت ، باب : العفو : حديث (٧٧١٢) (٤٠٧/٤) ، وفي عمل اليوم والليلة (١٠٧٠٨، ١٠٧٠٩) . وابن ماجة في كتاب : الدعاء ، باب : الدعاء بالعفو والعافية ، حديث (٣٨٥٠) (١٢٦٥/٢) .

(٤٤) المستدرك (٥٣٠/١) . ورواه النسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا وافق ليلة القدر ، حديث (١٠٧١٣) (٢١٩/٦) .

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ز : قلت .
[٣] - في ز : ابن .
[٤] - في ز : الرابعة .
[٥] - بياض في ز ، خ .
[٦] - في ز : في .
[٧] - في ز : سفرة .
[٨] - في ز ، خ : فيقولون .

مبولة ، أو مكان فيه كساحة البيت . فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات ، وجبريل لا يدع أحدًا من المؤمنين[١] إلا صافحه ، علامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه ، فإن ذلك من مصافحة جبريل .

وذكر كعب أن من قال في ليلة القدر : « لا إله إلا اللّٰه » ، ثلاث مرات ، غفر اللّٰه له بواحدة ، ونجاه من النار بواحدة ، وأدخله الجنة بواحدة . فقلنا لكعب الأحبار : يا أبا إسحاق ، صادقًا ؟ فقال كعب : وهل يقول « لا إله إلا اللّٰه » في ليلة القدر إلا كل صادق ؟ والذي نفسي بيده ، إن ليلة القدر لتثقل علىٰ الكافر والمنافق ، حتىٰ كأنها علىٰ ظهره جبل ، فلا تزال الملائكة هكذا حتىٰ يطلع الفجر . فأول من يصعد جبريل حتىٰ يكون في وجه الأفق الأعلىٰ من الشمس ، فيبسط جناحيه - وله جناحان أخضران ، لا ينشرهما إلا في تلك الساعة - فتصير الشمس لا شعاع لها ، ثم يدعو ملكًا ملكًا[٢] فيصعد ، فيجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبريل ، فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة ، فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك ، في دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ، ولمن صام رمضان احتسابًا ، ودعا لمن حدث نفسه إن عاش إلىٰ قابل صام رمضان للّٰه . فإذا أمسوا دخلوا إلى[٣] السماء الدنيا ، فيجلسون حلقًا حلقًا[٤] ، فتجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا ، فيسألونهم عن رجل رجل ، وعن امرأة امرأة ، فيحدثونهم حتىٰ يقولوا : ما فعل فلان ؟ وكيف وجدتموه العام[٥] ؟ فيقولون : وجدنا فلانًا عام أول في هذه الليلة متعبدًا ووجدناه العام مبتدعًا[٦] ، ووجدنا فلانًا مبتدعًا ووجدناه العام عابدًا قال : فيكفون عن الاستغفار لذلك ، ويقبلون علىٰ الاستغفار لهذا ، ويقولون : وجدنا فلانًا وفلانًا يذكران اللّٰه ، ووجدنا فلانًا راكعًا ، وفلانًا ساجدًا ، ووجدناه تاليًا لكتاب اللّٰه . قال : فهم كذلك يومهم وليلتهم ، حتىٰ يصعدون[٧] إلىٰ السماء الثانية ، ففي كل سماء يوم وليلة ، حتىٰ ينتهوا مكانهم من سدرة المنتهىٰ ، فتقول لهم سدرة[٨] المنتهىٰ : يا سكاني ، حدثوني عن الناس وسموهم لي . فإن لي عليكم حقًّا ، وإني أحب من أحب اللّٰه . فذكر كعب أنهم يعدون لها ، ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم . ثم تقبل الجنة علىٰ السدرة فتقول : أخبريني بما أخبرك سكانك من الملائكة . فتخبرها ، قال : فتقول الجنة : رحمة اللّٰه علىٰ فلان ، ورحمة اللّٰه على فلانة ، اللّٰهم عجّلهم إليّ ، فيبلغ جبريل مكانه قبلهم ، فيلهمه[٩] اللّٰه فيقول : وجدت فلانًا ساجدًا فاغفر له . فيغفر له ، فيُسمعُ جبريلُ جميعَ[١٠] حملة العرش فيقولون : رحمة اللّٰه على فلان ورحمة اللّٰه على فلانة ، ومغفرته

---

[١] - في ز : الناس .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - في ت : متعبدًا .
[٧] - كذا في ز ، خ ، ت . ولعل الصواب : يصعدوا .
[٨] - في ز ، خ : السدرة .
[٩] - سقط من ز ، خ .
[١٠] - سقط من خ .

لفلان ، ويقول : يا رب ، وجدت عبدك فلانًا الذي وجدته عام أول على السنة والعبادة ، ووجدته العام قد أحدث حدثًا [وتولى عما أمر به][١] . فيقول الله : يا جبريل ، إن تاب فأعتبني قبل أن يموت بثلاث ساعات غفرت له . فيقول جبريل : لك الحمد إلهي ، أنت أرحم من جميع خلقك ، وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم . قال : فيرتج العرش وما حوله ، والحجب والسماوات ومن فيهن ، تقول : الحمد لله الرحيم ، الحمد لله الرحيم .

قال : وذكر كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان أن لا يعصي الله ، دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب .

آخر تفسير سورة[٢] « ليلة القدر » . [ولله الحمد والمنة]

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز ، خ : « ونقل عما أمرته » .

[٢] - سقط من ز .

سورة القَدْر

مختلَف فيها، وهي خمس آياتٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ تنويه بشأن القرآن الكريم، وإجلالٌ لمحلّه بإضماره المُؤذِن بغاية نباهته المُغنية عن التصريح به، كأنّه حاضر في جميع الأذهان، وبإسناد إنزاله إلى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به، وبتفخيم وقت إنزاله بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ لِما فيه مِن الدلالة على أنّ علوّ قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يَدريها ولا يُدرِيها إلّا علّام الغيوب، كما يُشعر به قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فإنّه بيان إجمالي لشأنها إثر تشويقه عليه السلام إلى درايتها، فإنّ ذلك مُعرِب عن الوعد بإدرائها، وقد مرّ بيان كيفيّة إعراب الجملتين. وفي إظهار ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ في الموضعين مِن تأكيد التفخيم ما لا يخفى.

والمراد بإنزاله فيها إمّا إنزال كلِّه إلى السماء الدنيا، كما رُوي أنّه أنزل جملةً واحدةً في ليلة القدر مِن اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وأملاه جبريلُ عليه السلام على السَّفَرة، ثمّ كان يُنزِّله على النبيّ عليه السلام نجومًا في ثلاث وعشرين سنةً،[1] وإمّا ابتداء إنزاله فيها، كما نُقل عن الشعبي.[2]

---

[1] بمعناه في المستدرك للحاكم، ٢/٢٤٢ (٢٨٧٨)؛ وشعب الإيمان للبيهقي، ٣/٥٢٣ (٢٠٥٣)؛ وجامع البيان للطبري، ٢٤/٥٤٢؛ والكشّاف للزمخشري، ٤/٥٨٩.

[2] انظر: جامع البيان للطبري، ٢٤/٥٤٣؛ والكشّاف للزمخشري، ٤/٥٨٩.

وقيل: المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها،[١] كما في قول عمرَ رضي الله عنه: «خشيتُ أن ينزل فيّ قرآن»،[٢] وقول عائشةَ رضي الله عنها: «لَأنا أحقرُ في نفسي مِن أن ينزل فيّ قرآن»،[٣] فالأنسبُ أن يُجعل الضمير حينئذ للسورة التي هي جزء مِن القرآن، لا للكلّ.

واختلفوا في وقتها، فأكثرهم على أنّها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها، وأكثر الأقوال أنّها / السابعة منها، ولعلّ السرَّ في إخفائها تعريض مَن يريدها للثواب الكثير بإحياء الليالي الكثيرة رجاءً لموافقتها.[٤] [٣١١ظ]

وتسميتها بذلك إمّا لتقدير الأمور وقضائها فيها لقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان، ٤٤/٤]، أو لخطَرها وشرفها على سائر الليالي.

وتخصيص "الألْف" بالذِّكر إمّا للتكثير، أو لِما رُوي أنّه عليه السلام ذَكَر رجلًا مِن بني إسرائيلَ لبس السلاحَ في سبيل الله ألفَ شهر، فعجِب المؤمنون منه، وتقاصرت إليهم أعمالهم، فأُعطوا ليلةً هي خير مِن مدّة ذلك الغازي.[٥] وقيل: إنّ الرجل فيما مضى ما كان يقال له: "عابد" حتّى يعبد الله تعالى ألفَ شهر، فأُعطوا ليلةً إن أحيَوها كانوا أحقّ بأن يُسمَّوا عابدين مِن أولئك العُبّاد.[٦] وقيل: أُريَ النبيّ عليه السلام أعمارَ الأمم كافّةً فاستقصر أعمار أمّته فخاف أن لا يبلغوا مِن العمل مثلَ ما بلغ غيرُهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر، وجعلها خيرًا مِن ألف شهر لسائر الأمم.[٧] وقيل: كان مُلك سليمانَ خمسمائة شهرٍ، ومُلك ذي القرنين خمسمائة شهرٍ، فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمَن أدركها خيرًا مِن مُلكهما.[٨]

---

١ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٥٥٤.
٢ صحيح البخاري، ٥/١٢٦ (٤١٧٧).
٣ صحيح البخاري، ٣/١٧٣ (٢٦٦١)؛ صحيح مسلم، ٤/٢١٢٩ (٢٧٧٠).
٤ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٨٩.
٥ بلفظ قريب عن ابن عبّاس ومجاهد في تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/٣٤٥٢؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٨/٤٩٠؛ والكشّاف للزمخشري، ٤/٥٨٩.
٦ القول في الكشف والبيان للثعلبي، ٣٠/١٠٩؛ والكشّاف للزمخشري، ٤/٥٨٩.
٧ ما وجدته في مظانّه. وهو في اللباب لابن عادل، ٢٠/٤٢٨.
٨ القول عن أبي بكر الورّاق في اللباب لابن عادل، ٢٠/٤٢٨.

وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ استئناف مبيِّن لمناط فضلها على تلك المدّة المتطاولة. قد سبق في سورة النبأ[1] ما قيل في شأن الروح على التفصيل. وقيل: هم خَلْق مِن الملائكة لا يراهم الملائكة إلّا تلك الليلة،[2] أي: تتنزّل الملائكة والروح في تلك الليلة مِن كلّ سماء إلى الأرض أو إلى السماء الدنيا.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ متعلِّق بـ﴿تَنَزَّلُ﴾ أو بمحذوف هو حال مِن فاعله، أي: ملتبِسين بإذن ربّهم، أي: بأمره. ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: مِن أجل كلّ أمر قضاه الله عزّ وجلّ لتلك السنة إلى قابل، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان، ٤/٤٤]. وقُرئ: "مِنْ كُلِّ امْرِئٍ"،[3] أي: مِن أجل كلّ إنسان. قيل: لا يلقَون فيها مؤمنًا ولا مؤمنةً إلّا سلّموا عليه.[4]

﴿سَلَـٰمٌ هِىَ﴾ أي: ما هي إلّا سلامة، أي: لا يقدِّر الله تعالى فيها إلّا السلامة والخير، وأمّا في غيرها / فيقضي سلامةً وبلاءً، أو ما هي إلّا سلام لكثرة ما [٣١٢و] يسلِّمون فيها على المؤمنين. ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: وقت طلوعه. وقُرئ بالكسر[5] على أنّه مصدر كـ"المَرجِع"، أو اسم زمان على غير قياس كـ"المَشرِق". و﴿حَتَّىٰ﴾ متعلِّقة بـ﴿تَنَزَّلُ﴾ على أنّها غاية لحُكم التنزّل، أي: لمكثهم في محلّ تنزُّلهم، أو لنفس تنزُّلهم بأن لا ينقطع تنزُّلهم فوجًا بعد فوج إلى طلوع الفجر. وقيل: متعلِّقة بـ﴿سَلَـٰمٌ﴾ بناءً على أنّ الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفَر في الجارّ.[6]

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة القدر أعطي مِن الأجر كمَن صام رمضان وأحيا ليلة القدر».[7]

---

١ في الآية الثامنة والثلاثين منها.

٢ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٨٩/٤.

٣ س – أي: مِن أجل كلّ أمر قضاه الله عزّ وجلّ لتلك السنة إلى قابل، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، وقُرئ: "مِنْ كُلِّ امْرِئٍ". | قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس وعكرمة والكلبي. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٣٩.

٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٩٠/٤.

٥ قرأ بها الكسائي وخلف. النشر لابن الجزري، ٤٠٣/٢.

٦ القول في اللباب لابن عادل، ٤٣٠/٢٠.

٧ الكشف والبيان للثعلبي، ٥٧/٣٠ (القدر، ١/٩٧)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٥٣٢/٤ (القدر، ١/٩٧)؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٩٠/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٩٧

سُورَةُ القَدْرِ

مكية أو مدنية، خمسُ أو ستُّ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ أي: القُرآنَ جُملة واحِدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿فِي لَيلَةِ القَدْرِ﴾ أي: الشرف والعِظَم، ٢ ـ ﴿وما أدراكَ﴾: أعلمَكَ يا مُحمّدُ: ﴿ما لَيلَةُ القَدْرِ﴾؟ تعظيمٌ لشأنها وتعجيب منه. ٣ ـ ﴿لَيلَةُ القَدْرِ خَيرٌ مِن ألفِ شَهرٍ﴾ ليس فيها ليلةُ القدر. فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها.

سُورَةُ القَدْرِ

قولُهُ: (أي: القُرآنَ) فخَّمَهُ بإضمارِهِ من غيرِ ذِكْرٍ شهادَةً له بالنَّباهَة المغنيَةِ عن التَّصريحِ، كما عظَّمَهُ بأن أسنَدَ إنزالَهُ إليه مع صيغَةِ التَّعظيمِ، وعظَّمَ الوَقتَ الذي أُنزلَ فيه.

قولُهُ: (جُملَةً وَاحِدَةً) أو ابتدأَ إنزالَهُ فيها.

قولُهُ: (إلى سَمَاءِ الدُّنيَا) على السَّفرَةِ، ثمَّ كان جبريلُ يُنزِّلُه مُنجَّماً في ثلاثٍ وعشرينَ سنةً.

قولُهُ: (الشَّرفِ والعِظَمِ) أي: تسميتُها بذلك لشَرَفِها كقولِهِ تعالَى: ﴿وما قَدَرُوا الله حَقَّ قَدرِه﴾ [الأنعام: ٩١]، أو لتقديرِ الأمورِ لقولِهِ: ﴿فِيهَا يُفرَقُ كُلُّ أَمرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، وتُسلَّمُ للحفظَةِ ليلَةَ النِّصفِ، أو بالعَكسِ.

قولُهُ: (في أَلفِ شَهرٍ) قيل: ذِكرُ الألفِ للتَّكثيرِ، وقيل: للتَّحديدِ؛ لما رويَ أنَّه عليهِ السَّلام ذكرَ إسرائيليًّا لبِسَ سِلاحاً في سَبيلِ الله ألفَ شَهرٍ فعجِبَ المؤمنونَ وتقاصَرَت إليهم أعمالُهُم فأعطُوا ليلَةً هي خيرٌ من مُدَّةِ ذلك الغازِي[1].

---

(١) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٣٠/ ١٠٥) (٣٥٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨٥٢٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦١) عن مجاهد مرسلاً.

٤ ـ ﴿تَنَزَّلُ المَلائكةُ﴾ ـ بحذف إحدى التاءين من الأصل ـ ﴿والرُّوحُ﴾ أي: جبريلُ ﴿فِيها﴾: في الليلة ﴿بِإذنِ رَبِّهِم﴾: بأمره ﴿مِن كُلِّ أمرٍ﴾ قضاه الله فيها لتلك السنة إلى قابلٍ. ومِن: سببيّة بمعنى الباء. ٥ ـ ﴿سَلامٌ هِيَ﴾: خبرٌ مُقدّم ومُبتدأ ﴿حَتَّى مَطلَعِ الفَجرِ﴾ بفتح اللام وكسرها: إلى وقت طُلوعه. جُعلت سلامًا لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تمرّ بمُؤمن ولا مُؤمنة إلاّ سلّمتْ عليه.

وفيها أقوالٌ كثيرَةٌ تزيدُ على الأربَعينَ، وحاصِلُها أقوالٌ عشرَةٌ: ليالي العَشرِ الأخيرِ، وليلَةُ أوَّلِ الشَّهرِ، ونصفُهُ، والسَّابعَةَ عَشَر، وثلاثٌ يَليهَا، ونصفُ شَعبانَ، وقيلَ: بالإبهامِ، والتَّنَقُّلِ في كلِّ عامٍ في كُلِّ رمضانَ، أو في كُلِّ السَّنَةِ، فهذِهِ عشرُونَ قَولاً[1]، كذا ذُكِرَ في «المبهمات»[2]، والرَّاجِحُ أوتارَ العشرِ الأخيرِ من رَمضانَ، والجمهورُ على أنَّها السَّابعَةُ والعُشرونَ[3].

قولُهُ: (في اللَّيلَةِ) وتنزلُهُم إلى الأرضِ، أو إلى سماءِ الدُّنيا، أو تَقَرُّبُهُم إلى المؤمنينَ.

قولُهُ: (بِمَعنَى البَاءِ) أو التَّقديرُ: من أجلِ كلِّ أمرٍ قدَّرَ.

قولُهُ: (خَبَرٌ مُقَدَّمٌ) ولذا قالَ القاضِي[4]: ما هيَ إلا سلامَةٌ.

قولُهُ: (وكَسرِهَا) كسائيٌّ[5].

قولُهُ: (لكَثرَةِ السَّلامِ) أو لأنَّ الله تعالى لا يقدِّرُ فيها إلا السَّلامَةَ، ويقضِي في غيرِها السَّلامَةَ والبَلاءَ، والله أعلمُ.

* * *

---

(١) كذا في الأصول، وتقدم أنها عشرة أقوال.

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٩).

(٣) انظر تفصيلها والراجح: «فتح الباري» لابن حجر (٤/ ٢٦٤).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٢٧).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٩٣)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٢٤).

سورة القدر

قال أبو حيَّان: مدنيَّة في قول الأكثر، وحَكى الماورديُّ عكسَه، وذكر الواحديُّ أنَّها أوَّل سورةٍ نزلت بالمدينة[1].

وقال الجلال في «الإتقان»: فيها قولان، والأكثر على أنَّها مكِّيَّة، ويستدلُّ لكونها مدنيَّةً بما أخرجه الترمذيُّ والحاكم عن الحسن بن عليٍّ ﵄، أنَّ النبيَّ ﷺ أُريَ بني أميَّة على منبره، فساءه ذلك، فنزلت: «إنَّا أعطيناك الكوثر» ونزلت «إنَّا أنزلناه في ليلة القدر» الحديث[2]. وهو كما قال المزنيّ[3]: حديثٌ منكر. انتهى.

وقد أخرجَ الجلالُ هذا الحديث في «الدر المنثور» عن ابن جرير والطبرانيِّ وابن مردويه والبيهقيِّ في «الدلائل» أيضاً من رواية يوسف بن سعد، وذكر فيه أنَّ الترمذيَّ أخرجَهُ وضعَّفه[4]. . . . .

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٤٩٦، وقول الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣١١.

(٢) سنن الترمذي (٣٣٥٠)، ومستدرك الحاكم ٣/ ١٧٠-١٧١.

(٣) كذا في الأصل و(م). والصواب: المزي، كما في الإتقان ١/ ٤١، ونقل قول المزي أيضاً ابن كثير في تفسيره ٨/ ٤٤٢.

(٤) الدر المنثور ٦/ ٣٧١، وفيه بدل: يوسف بن سعد: يوسف بن مازن، ومثله في المعجم الكبير (٢٧٥٤)، والدلائل ٦/ ٥٠٩، وهو عند الترمذي من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف بن سعد كما عند المصنف، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل، وقد قيل: عن القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن، والقاسم بن الفضل الحدَّاني هو ثقة، ويوسف بن سعد رجل مجهول، ولا نعرف هذا الحديث على هذا اللفظ: إلا من هذا الوجه.
قال المزي في تهذيب الكمال ٣٢/ ٤٢٧ في ترجمة يوسف بن سعد الجمحي: قال الترمذي: ويقال: يوسف بن مازن، وقال غيره: هما اثنان. اهـ. وانظر ميزان الاعتدال ٥/ ١٩١ (طبعة مؤسسة الرسالة).

=

وأنَّ الخطيبَ أخرجَ عن ابن عباس نحوَه(١). وكذا عن ابن المسيب بلفظ: قال نبيُّ الله ﷺ: أُرِيتُ بني أميَّة يصعدُون منبري، فشقَّ ذلك عليَّ، فأنزلت: «إنَّا أنزلناه في ليلة القدر»(٢). ففي قول المزنيِّ(٣): هو منكرٌ، تردُّدٌ عندي(٤).

وأيًّاما كان فقد استُشْكِل وجهُ دلالته على كون السورة مدنيَّةً، وأجيبَ بأنَّه يحتملُ أنْ يكون ذلك لقوله فيه: على منبره، والظاهر أنْ يكون المنبر موجوداً زمنَ الرؤيا، وهو لم يُتَّخذ إلَّا في المدينة.

وآيها ستٌّ في المكّيّ والشاميّ(٥)، وخمسٌ فيما عداهما.

وجاء في حديث أخرجَه محمد بن نصر عن أنس مرفوعاً أنَّها تعدلُ ربع القرآن(٦).

وذكر غيرُ واحدٍ من الشافعية أنَّه يسنُّ قراءتها بعد الوضوء، وقال بعض أئمَّتهم ثلاثاً(٧).

= وقال ابن كثير في تفسيره ٨/ ٤٤٢ بعد أن ذكر الاختلاف في اسم يوسف بن سعد: وهذا يقتضي اضطراباً في هذا الحديث، والله أعلم، ثم هذا الحديث على كل تقدير مضطرب جداً. اهـ.

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٢٠٦ (طبعة دار الغرب الإسلامي). وأخرجه من طريق الخطيب البغداديِّ ابنُ الجوزي في العلل المتناهية (٤٧٣)، وقال: هذا حديث لا يصح. وأعلَّه بأحمد بن محمد بن سعيد، الملقب بابن عقدة، وبأن أكثر رجال إسناده مجاهيل.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٤٤، وهو من طريق علي بن زيد عن ابن المسيب. وعليّ بن زيد ضعيف، وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١٢/ ٢٦٩: فيه ضعف وإرسال.

(٣) كذا في الأصل و(م)، والصواب: المزي، كما أشرنا إليه.

(٤) لعل كلام المصنف هذا لما رآه في الدر المنثور من طرق للحديث، وهي ـ كما رأيت في التعليقات السالفة ـ طرقٌ لا يُفرحُ بها؛ لضعفها ونكارتها. وقال ابن القيم في المنار المنيف ص١١٧: كلُّ حديثٍ في ذمِّ بني أميَّة فهو كذب. اهـ.
ثم إن المصنف سيذكر قريباً ترجيحَه ضعف الخبر.

(٥) جاء في هامش الأصل ما نصه: اختلافها ﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ الثالث، مكي شامي. اهـ منه.

(٦) الدر المنثور ٦/ ٣٧٧.

(٧) انظر حاشية الجمل على شرح المنهاج ١/ ١٣٤. واستُدلَّ على ذلك بحديث: «من قرأ في إثر وضوئه «إنا أنزلناه في ليلة القدر» مرَّة واحدة كان من الصديقين، ومن قرأها مرتين كتب =

ووجهُ مناسبتها لما قبلها أنَّها كالتعليل للأمر بقراءة القرآن المتقدِّم فيه، كأنَّه قيل: اقرأ القرآن لأنَّ قدرَه عظيمٌ وشأنه فخيمٌ.

وقال الخطابيُّ: المراد بالكناية[1] في قوله تعالى فيها: «إنَّا أنزلناه» الإشارة إلى قوله تعالى: «اقرأ»، ولذا وضعت بعدُ، وارتضاه القاضي أبو بكر بن العربي، وقال: هذا بديعٌ جدًّا.

والظاهرُ أنَّه أرادَ أنَّ الضميرَ المنصوب في ذاك لـ «اقرأ» إلخ، على ما ستسمعه إن شاء الله تعالى، وكونُه أرادَ أنَّه للمقروء المفهوم من «اقرأ» فيكون في معنى رجوعه للقرآن: خلافُ الظاهر، فلا تغفل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾ الضميرُ عند الجمهور للقرآن، وادَّعى الإمام فيه إجماعَ المفسِّرين[2]، وكأنَّه لم يَعتدَّ بقول من قال منهم برجوعه لجبريل عليه السلام أو غيره؛ لضعفه.

قالوا: وفي التعبير عنه بضمير الغائب مع عدم تقدُّم ذكره تعظيمٌ له، أي: تعظيمٌ لما أنَّه يشعِرُ بأنَّه لعلوِّ شأنه كأنَّه حاضرٌ عند كلِّ أحد، فهو في قوَّة المذكور، وكذا في إسناد إنزاله إلى نون العظمة مرتين، وتأكيدِ الجملة.

وأشار الزمخشريُّ[3] إلى إفادة الجملة اختصاصَ الإنزالِ به سبحانه بناءً على أنَّها من باب: أنا سعيتُ في حاجتك، مِمَّا قُدِّم فيه الفاعلُ المعنويُّ على الفعل.

= في ديوان الشهداء، ومن قرأها ثلاثاً حشره الله محشر الأنبياء». قال الهيتمي في الفتاوى الكبرى الفقهية ١/ ٥٦-٥٧: رواه الديلمي وفي سنده مجهول. وقال العجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٣٥٥: ولا أصل له.

(١) في (م): بالكتابة، وجاء في الإتقان ٢/ ٩٨٩، وتناسق الدرر ص٩٩ (وكلاهما للسيوطي) نقلاً عن الخطابي: بهاء الكناية.

(٢) تفسير الرازي ٣٢/ ٢٧.

(٣) في الكشاف ٤/ ٢٧٣.

وتُعقِّب بأنَّ ما ذكروه في الضمير المنفصل دون المتَّصل، كما في اسم «إنَّ» هنا. نعم، الاختصاصُ يفهم من سياق الكلام. وفيه أنَّهم لم يُصرِّحُوا باشتراطِ ما ذُكر.

وكذا في تفخيم[1] وقتِ إنزاله بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾ لما فيه من الدلالة على أنَّ علوَّها خارجٌ عن دائرة دراية الخلق، لا يَعْلَم ذلك ولا يُعْلِم به إلَّا علَّام الغيوب، كما يشعر به قوله سبحانه: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ۝٣﴾ فإنَّه بيانٌ إجماليٌّ لشأنها إثر تشويقه عليه الصلاة والسلام إلى درايتها، فإنَّ ذلك مُعْرِبٌ عن الوعد بإدرائها، وعن سفيان بن عيينة أنَّ كلَّ ما في القرآن من قوله تعالى: «ما أدراك» أعلمَ الله تعالى به نبيَّه ﷺ، وما فيه من قوله سبحانه: «وما يدريك» لم يعلِمه عز وجلَّ به، وقد مرَّ بيان كيفية إعراب الجملتين.

وفي إظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التعظيم والتفخيم ما لا يخفى.

والمراد بإنزاله فيها إنزالُه كلِّه جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، فقد صحَّ عن ابن عباس أنَّه قال: أنزل القرآن في ليلة القدر جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله تعالى ينزله على رسوله ﷺ بعضَه في إثر بعض[2].

وفي روايةٍ بدل: وكان بمواقع.. إلخ: ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة[3].

وفي روايةٍ أخرى عنه أيضاً: أنزل القرآن جملةً واحدة، حتى وُضِع في بيت العزَّة في السماء الدنيا، ونزل به جبريلُ عليه السلام على محمدٍ ﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم[4].

(١) يريد: وكذا التعظيم في تفخيم...
(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٦٢٥)، والطبري ٢٤/ ٥٤٣.
(٣) أخرجه الطبري ٣/ ١٩٠ و٢٤/ ٥٤٢-٥٤٣ بلفظ: وكان بين أوله وآخره عشرون سنة.
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٣٨٢).

وفي أخرى: أنَّه أنزل في رمضان ليلة القدر جملةً واحدة، ثمَّ أنزلَ على مواقع النجوم رَسَلاً في الشهور والأيام(١).

وكون النزول بعدُ في عشرين سنةً قولٌ لهم، وقال بعضهم ـ وهو الأشهر ـ: في ثلاث وعشرين. وقال آخر: في خمس وعشرين. وهذا للخلافِ في مدة إقامته ﷺ بمكَّة بعد البعث.

وقال الشعبيُّ(٢): المراد: ابتدأنا بإنزاله فيها. والمشهور أنَّ أوَّلَ ما نزل من الآيات «اقرأ»، وأنَّه كان نزولها بحراء نهاراً.

نعم، في «البحر»: روي أنَّ نزول الملك في حراء كان في العشر الأواخر من رمضان(٣).

فإنَّ صحَّ، وكان المراد: كان ليلاً، فذاك، وإلَّا فظاهرُ كلام الشعبيِّ غيرُ مستقيم، اللهمَّ إلَّا أن يقال إنَّه أراد ابتداء إنزاله إلى السماء الدنيا فيها، ولا يلزم أن يتحد ذلك وابتداء إنزاله عليه ﷺ في الزمان. ثمَّ إنَّ في «أنزلناه» على ما ذُكِر تجوُّزاً في الإسناد؛ لأنَّه أسندَ فيه ما للجزء إلى الكلِّ، أو مجازاً في الطرف، أو تضميناً.

وقيل: المراد إنزالُه من اللوح إلى السماء الدنيا مفرَّقاً في ليالي قَدْرٍ، على أنَّ المراد بـ «ليلة» الجنس، فقد قيل: إنَّ القرآن أُنزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلةِ قَدْرٍ، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، وكان ينزلُ في كلِّ ليلةٍ ما يقدِّرُ اللهُ تعالى إنزالَه في كلِّ السَّنة، ثم ينزله سبحانَه منجَّماً في جميع السنة.

وهذا القول ذكرهُ الإمام احتمالاً(٤)، ونقله القرطبيُّ(٥) ـ كما قال ابنُ كثير(٦) ـ عن

---

(١) أخرجه الطبري ٣/ ١٩١-١٩٢.
(٢) جاء فوقها في الأصل: أي: وغيره، كما في البحر. اهـ منه. وهو كذلك في البحر ٨/ ٤٩٦.
(٣) البحر المحيط ٨/ ٤٩٦.
(٤) تفسير الرازي ٥/ ٩٤.
(٥) في تفسيره ٣/ ١٦١.
(٦) في تفسيره ١/ ٥٠٢.

مقاتل، لكنَّه مِمَّا لا يعوَّل عليه، والصحيحُ المعتمدُ عليه كما قال ابنُ حجر في شرح البخاريِّ أنَّه أنزلَ جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزَّة في السماء الدنيا(١)، بل حكى بعضُهم الإجماعَ عليه.

نعم، لا يَبْعُدُ القول بأنَّ السَّفرةَ هناك نجَّموه لجبريل عليه السلام في الليالي المذكورة، وقد رُوي هذا عن الحبْرِ؛ أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحَّاك عنه أنَّه قال: نزل القرآن جملةً واحدةً من عند الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجَّمه السفرة على جبريل عليه السلام في عشرين ليلة - أي: من ليالي القدر، كما يدلُّ عليه كلام الجلال(٢) - ونجَّمه جبريل عليه السلام على النبيِّ ﷺ(٣).

هذا، واستُشكِل كونُ الضمير للقرآن كلِّه بأنَّ من جملته: «إنا أنزلناه»، فيلزم الإخبارُ عن الشيء بنفسه، لأنَّه قد أخبر بلفظ: «إنا أنزلناه» عن لفظ «إنا أنزلناه»؛ لأنه من القرآن المخبر عنه(٤).

وأجاب السيد عيسى الصفويُّ بأنَّه لا محذورَ في ذلك بناءً على جواز مثل: أتكلم، مخبراً به عن التكلُّم بقولك: أتكلم. وفي ذلك اختلافٌ بين الدوانيِّ وغيره ذكره في رسالته التي ألَّفها في الجواب عن مسألة الجذر الأصمِّ.

أو يقال: يرجعُ الضمير للقرآن باعتبارِ جملته وقطعِ النظر عن أجزائه، فيخبر عن الجملة: بـ «إنَّا أنزلناه»، وإنْ كانَ من جملته: «إنَّا أنزلناه» المندرجُ في جملته من غير نظرٍ(٥) له بخصوصه.

(١) فتح الباري ٩/ ٤.
(٢) في الإتقان ١/ ١٣١-١٣٢.
(٣) عزاه لابن أبي حاتم السيوطي في الإتقان ١/ ١٣١، وقال ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٩٥٠: وهذا باطل، ليس بين جبريل وبين الله واسطة، ولا بين جبريل ومحمد عليهما السلام واسطة.
(٤) من قوله: وقد روي هذا عن الحبر... إلى هنا ساقطٌ من (م). وهو في النسخة النعمانية (ب) مضروباً عليه.
(٥) في (م): نظير، والمثبت من الأصل وحاشية الشهاب ٨/ ٣٨٢، وعنه نقل المصنف.

وقد ذكروا أنَّ الجزءَ من حيث هو مستقلٌّ مغايرٌ له من حيث هو في ضمن الكلّ.

وفي «الإتقان» عن أبي شامة: فإنْ قلت: «إنَّا أنزلناه» إن لم يكن من جملة القرآن الذي نَزَل جملةً، فما نزل جملةً، وإنْ كان من الجملة، فما وجه هذه العبارة؟

قلت: لها وجهان: أحدهما: أنْ يكون المعنى: إنَّا حكمنا بإنزاله في ليلة القدر، وقضينا به وقدَّرناه في الأزل.

والثاني: أنَّ لفظ «أنزلنا»(١) ماضٍ، ومعناه على الاستقبال، أي: ننزله جملةً في ليلة القدر(٢). انتهى.

ولم يظهر لي في كلا وجهيه رحمه الله تعالى شامةُ حسنٍ، فأجِل في ذلك نظراً، فلعلك ترى.

وقيل: المعنى: إنَّا أنزلناه في فضلِ ليلة القدر، أو في شأنها وحقِّها، فالكلام على تقدير مضاف، أو الظرفيةُ مجازيةٌ، كما في قول عمر ﷺ: خشيتُ أن ينزل فيَّ قرآنٌ(٣)، وقول عائشة ﷺ: لَأَنَا أحقرُ في نفسي من أن ينزلَ فيَّ قرآن(٤). وجعل بعضُهم «في» في ذلك للسببية. والضمير قيل: للقرآن، بالمعنى الدائر بين الكلِّ والجزء، وقيل: بمعنى السورة، ولا يأباه كونُ «إنَّا أنزلناه» فيها لما مرَّ آنفاً، فلا حاجةَ إلى أن يقال: المرادُ بها ما عدا «إنا أنزلناه في ليلة القدر» وقيل: يجوز أن يراد به المجموع؛ لاشتماله على ذلك.

وأيًّاما كان، فحملُ الآية على هذا المعنى غيرُ معوَّلٍ عليه، وإنَّما المعوَّلُ عليه ما تقدَّم، والمراد بالإنزال إظهارُ القرآن من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، أو إثباتُه لدى السفرة هناك، أو نحو ذلك مِمَّا لا يُشْكِلُ نسبتُه إلى القرآن.

---

(١) في (م): أنزلناه.

(٢) الإتقان ١/ ١٣٢-١٣٣. وكلام أبي شامة في المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص٢٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤١٧٧).

(٤) قطعة من حديث عائشة الطويل في الإفك، أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٦١).

واختلفوا في تلك الليلة، فقيل: إنَّها رُفعت لخبرٍ في ذلك، وهو ـ كما قال الكرمانيُّ ـ غلط؛ لأنَّ آخرَ الخبر يردُّه[١]، والمراد رفع تعيينها فيه.

وعن عكرمة أنَّها ليلةُ النصف من شعبان. وهو قولٌ شاذٌّ غريب، كما في «تحفة المحتاج»، وظاهر ما هنا مع ظاهر قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] يردُّه.

وعن ابن مسعود أنَّها تنتقل[٢] في ليالي السنة، فتكون في كلِّ سنةٍ في ليلةٍ، ونسبه النوويُّ[٣] إلى أبي حنيفة وصاحبيه.

والأكثرون على أنَّها في شهر رمضان، فعن أبي رزين[٤] أنَّها الليلة الأولى منه.

وعن الحسن البصريّ: السابعة عشر؛ لأنَّ وقعةَ بدر كانت في صبيحتها، وحكي عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضاً.

وعن أنسٍ مرفوعاً: التاسعة عشر[٥]، وحُكي موقوفاً على ابن مسعود أيضاً.

وعن محمد بن إسحاق: الحادية والعشرون؛ لما في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّه عليه الصلاة والسلام قال: «قد رأيت هذه الليلة ـ يعني ليلة القدر ـ ثمَّ نُسِّيتُها، وقد رأيتني أسجدُ من صبيحتها في ماء وطين». قال أبو سعيد: فمطرت السماء من تلك الليلة، فوكف المسجد،

---

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري (٤٩) و(٢٠٢٣) من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ خرج يخبر بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: «إني خرجت لأخبركم بليلة القدر، وإنه تلاحى فلانٌ وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، التمسوها في السبع والتسع والخمس».

(٢) جاء في هامش الأصل ما نصه: وراعى بعضهم هذا فقال: لا يقع طلاقُ مَن علَّق الطلاق بليلة القدر حتى تمضي سنة، والمشهور اعتبار رمضان في ذلك. اهـ منه.

(٣) في شرح مسلم ٨/ ٥٧.

(٤) في الأصل و(م): ابن رزين، والصواب ما أثبتناه، وهو موافق لما في تفسير البغوي ٤/ ٥١٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٩٩.

(٥) لم نقف عليه.

فأبصرَتْ عينايَ رسولَ الله وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين[(١)].

وفي مسلم: «من صبيحة ثلاث وعشرين»[(٢)].

ومنه مع ما قبله مال الشافعيُّ عليه الرحمة إلى أنَّها الليلة الحادية أو الثالثة والعشرون.

وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن أنيس أنَّه سُئِل عن ليلة القدر، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها الليلةَ» وتلك الليلةُ ليلة ثلاث وعشرين[(٣)].

وأخرج أحمد وأبو داود وابن جرير وغيرهم عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلةُ القدر ليلة أربع وعشرين»[(٤)].

وفي «الإتقان» وغيره أنَّها الليلةُ التي أنزلَ فيها القرآن[(٥)].

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي ذرٍّ أنَّه سُئِل عن ليلة القدر، فقال: كان عمر وحذيفة وناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ لا يَشُكُّون أنَّها ليلة سبع وعشرين[(٦)].

---

(١) صحيح البخاري (٢٠١٨) و(٢٠٢٧)، وصحيح مسلم (١١٦٧).

(٢) صحيح مسلم (١١٦٨) وهو من حديث عبد الله بن أنيس، وأوله قريب من حديث أبي سعيد ﵁.

(٣) مسند أحمد (١٦٠٤٦)، وسلف في التعليق السابق تخريجه عند مسلم.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٨٩٠)، والبزار (١٣٧٦) من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير الصنابحي عن بلال.
قال البزار: ولا نعلم روى الصنابحي عن بلال إلا هذا الحديث، ولا نعلم له طريقاً إلا هذا الطريق. اهـ.
وقال ابن حجر في فتح الباري ٤/ ٢٦٤: وقد أخطأ ابن لهيعة في رفعه فقد رواه عمرو بن الحارث عن يزيد بهذا الإسناد موقوفاً بغير لفظه. اهـ. ولم نقف عليه في سنن أبي داود وتفسير الطبري، ولكن أخرج أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٢٨١) من حديث أبي سعيد ﵁ نحوه.

(٥) الإتقان ١/ ١٣٣.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٥١٣، ٣/ ٧٤.

وأخرج ابن نصر وابن جرير في «تهذيبه» عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «التمسوا ليلةَ القدر في آخر ليلةٍ من رمضان»[١].

وفي رواية أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً: «أنَّها آخر ليلة»[٢].

وقيل: هي في العشر الأوسط، تنتقل فيه، وقيل: في أوتاره، وقيل: في أشفاعه.

وأخرج أحمدُ والبخاريُّ ومسلم والترمذيُّ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «تحرَّوا ليلةَ القدر في الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان»[٣].

وفي حديث أخرجه أحمد وجماعةٌ عن عبادة بن الصامت مرفوعاً[٤]، وحديثين أخرجهما ابن جرير وغيره عن جابر بن سمرة[٥] وعن عبد الله بن جابر[٦] كذلك ما يدلُّ على ما ذكر أيضاً، بل الأخبارُ الصحيحة الدالَّة عليه كثيرةٌ.

وبالجملة الأقوال فيها مختلفةٌ جدًّا، إلَّا أنَّ الأكثرين على أنَّها في العشر الأواخر لكثرة الأحاديث الصحيحة في ذلك، وأكثرهم على أنَّها في أوتارها لذلك أيضاً، وكثيرٌ منهم ذهب إلى أنَّها الليلة السابعة من تلك الأوتار، وصحَّ من رواية الإمام أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن حبان وغيرهم أنَّ زرَّ بن حُبيش سأل أبيَّ بن كعب عنها، فحلف لا يستثني أنَّها ليلةُ سبع وعشرين، فقال له: بِمَ تقول ذلك يا أبا المنذر، فقال: بالآية والعلامة التي قال رسول الله ﷺ: «إنَّها

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٧٥. وأخرجه أيضاً ابن خزيمة في صحيحه (٢١٨٩).

(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٧٢، ولم نقف عليه في مسند أحمد، بل وقع فيه برقم (٧٩١٧) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «... ويغفر لهم في آخر ليلة» قيل: يا رسول الله، أهي ليلة القدر؟ قال: «لا، ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله».

(٣) مسند أحمد (٢٥٦٩٠)، وصحيح البخاري (٢٠١٧)، وصحيح مسلم (١١٦٩)، وسنن الترمذي (٧٩٢).

(٤) مسند أحمد (٢٢٧١٣).

(٥) وأخرجه أحمد (٢٠٨٠٩)، ولفظه: «التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر».

(٦) لم نقف عليه عن عبد الله بن جابر، وأخرجه ابن جرير في تهذيبه، وابن مردويه عن جابر بن عبد الله كما في الدر المنثور ٦/ ٣٧٢.

تُصبحُ من ذلك اليوم، تطلعُ الشمس ليس لها شعاع»[1].

وبعض الأخبار عن ابن عباس ظاهرةٌ في ذلك، وفي بعضها الاستئناسُ له بما يدلُّ على جلالة شأن السبعةِ التي قالوا فيها أنَّها عددٌ تامٌّ من كون السماوات سبعاً، والأرضين سبعاً، والأيام سبعاً، والجمار سبعاً، والطواف بالبيت سبعاً، والسجود على سبع، إلى غير ذلك مِمَّا ذكره واستأنس له أيضاً بأنَّ لفظة «هي» الراجعة لليلة القدر في السورة وقعت سابعة وعشرين من كلماتها التي هي ثلاثون كلمةً[2]، وبأنَّ لفظ ليلة القدر ذكر فيها ثلاث مرات، مع أنَّ الظاهر في الموضعين الأخيرين الضمير، وهو تسعة أحرف، فكان في ذكرها ثلاثاً رمزاً إلى أنَّها السابعة والعشرون.

والذي أميل إليه أنها في العشر الأخير[3]؛ لما علمتَ من الأخبار الصحيحة المتضافرة، وهو زمانُ ضعف البدن وفيه يزيد أجرُ العمل، ووقتُ قوَّة الاستعداد للتجليات لمزيد التصفية، وأنَّها في الأوتار أرجى للأحاديث أيضاً، مع أنَّ الله تعالى وترٌ يحبُّ الوتر.

وقال ابنُ حجر الهيتميُّ: اختارَ جمعٌ أنها لا تلزم ليلة بعينها من العشر الأواخر، بل تنتقلُ في لياليه، فعاماً أو أعواماً تكون وتراً؛ إحدى أو ثلاثاً أو غيرهما، وعاماً أو أعواماً شفعاً؛ اثنتين أو أربعاً أو غيرهما، قالوا: ولا تجتمع الأحاديثُ المتعارضة فيها إلَّا بذلك، وكلام الشافعيِّ ﷺ في الجمع بين الأحاديث يقتضيه. انتهى.

ولا يخفَى أنَّ الجمع بذلك بين الأحاديث المتعارضة فيها مطلقاً مِمَّا لا يتسنَّى، وإنَّما يتسنَّى الجمعُ بذلك بين الأحاديث المتعارضة فيها بالنظر إلى العشر.

وقيل في الجمع مطلقاً: إنَّها تنتقل، وما صحَّ من التعيين في الجملة أو على التحقيق محمولٌ على ليلة قدر في شهر رمضان مخصوص، بأنْ يكونَ قد علم ﷺ

---

(١) مسند أحمد (٢١١٩٣)، وصحيح مسلم (٧٦٢) ص٨٢٨، وسنن أبي داود (١٣٧٨)، وسنن الترمذي (٣٣٥١)، والسنن الكبرى للنسائي (٣٣٩٢)، وصحيح ابن حبان (٣٦٩٠).

(٢) قال أبو حيان في البحر ٨/ ٤٩٧: ولا يصح مثل هذا عن ابن عباس، وإنما هذا من باب اللغز المنزه عنه كلام الله تعالى.

(٣) من قوله: واستأنس له. . . إلى هنا ساقط من (م)، ومضروب عليه في النسخة النعمانية (ب).

أنَّها في أَوَّلِ شهرِ رمضان فُرِضَ ليلةُ كذا، فقال عليه الصلاة والسلام: هي ليلة كذا، أي: في هذا الشهر رمضانَ المخصوص، وعلم عليه الصلاة والسلام أنَّها في شهر رمضان بعدَه ليلةُ كذا، غير تلك الليلة التي ذكرها قبل، فقال ﷺ: هي ليلة كذا، وعَلم ﷺ أنَّها في آخر في العشر الأخير منه، فقال: هي في العشر الأخير، أي: من هذا الشهر المخصوص، وهكذا. وهو كما ترى.

وعلى القول بانتقالها ادَّعى بعضُهم أنَّه إذا كان أولُ الشهر ليلةَ كذا، فهي الليلة السابعة والعشرون، وإن كانت ليلة كذا، فهي الليلة الحادية والعشرون، إلى آخر ما قال. وقد ذكرناه مع نظمه في «الطراز المذهب»، وليس في ذلك ما يقوم حجَّةً على الغير.

وفي بعض الأخبار ذكرُ علامات لها، ففي حديث الإمام أحمد والبيهقي وغيرهما عن عبادة بن الصامت: «من أماراتها أنها ليلةٌ بَلْجَةٌ صافيةٌ ساكنةٌ، لا حارةٌ ولا باردةٌ، كأنَّ فيها قمراً ساطعاً لا يُرْمَى فيها بنجمٍ حتى الصباح»[1].

وأخرجَ نحواً منه ابنُ جرير في «تهذيبه» وابن مردويه عن جابر بن عبد الله مرفوعاً[2].

وحَمْلُ ذلك ـ إنْ صحَّ ـ على ليلة قدرٍ من شهر رمضان مخصوصٍ كالمتعيِّن لعدم اطراده ولا أغلبيته[3] فيما يظهر.

والحكمة في إخفائها أنْ يَجتَهد مَنْ يطلبها في العبادة في غيرها ليصادفها، كأنْ يُحييَ ليالي شهر رمضان كلَّها، كما كان دأبُ السلف، وللإمام في هذا المقام كلامٌ يجلُّ مثله عن التكلُّم بمثله، ولعمري لقد سها فيه سهواً بيِّناً، وأتى فيه بما يوشك أن يدلَّ على جهله[4].

---

(١) مسند أحمد (٢٢٧٦٥)، وشعب الإيمان للبيهقي (٣٦٩٤).

(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٧٢.

(٣) بعدها في الأصل: على.

(٤) انظر تفسير الرازي ٣٢/ ٢٨-٢٩، ولعلَّ الكلام المذكور أعلاه ليس من كلام الرازي نفسه، بل من كلام تلميذه شمس الدين أحمد الخويي المتوفى سنة(٦٣٧هـ)، أو من كلام العلامة =

ومعنى ليلة القدر: ليلة التقدير، وسمِّيت بذلك لما رُوي عن ابن عباس وغيره أنَّه يُقَدَّرُ فيها ويُقْضَى ما يكون في تلك السنة من مطرٍ ورزقٍ وإحياءٍ وإماتةٍ إلى السنة القابلة.

والمراد إظهارُ تقديره تعالى ذلك للملائكة عليهم السلام المأمورين بالحوادث الكونية، وإلَّا فتقديره تعالى جميعَ الأشياء أزليٌّ قبل خلق السماوات والأرض، لكن قال بعض الأجلَّة: كونُ التقدير في هذه الليلة يشكلُ عليه قولُ كثيرٍ: إنه ليلة النصف من شعبان، وهي المراد بالليلة المباركة التي قال الله تعالى فيها: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] وأجاب بأنَّ هاهنا ثلاثة أشياء:

الأوَّل: نفسُ تقدير الأمور، أي: تعيين مقاديرها وأوقاتها، وذلك في الأزل.

والثاني: إظهار تلك المقادير للملائكة عليهم السلام، بأنْ تُكْتَب في اللوح المحفوظ، وذلك في ليلة النصف من شعبان.

والثالث: إثباتُ تلك المقادير في نُسخٍ، وتسليمها إلى أربابها من المدبِّرات، فتدفَعُ نسخة الأرزاق والنباتات والأمطار إلى ميكائيل عليه السلام، ونسخة الحروب والرياح والجنود والزلازل والصواعق والخسف إلى جبريل عليه السلام، ونسخةُ الأعمال إلى إسرافيل عليه السلام، ونسخةُ المصائب إلى ملك الموت، وذلك في ليلة القدر.

وقيل: يقدَّرُ في ليلة النصف الآجال والأرزاق، وفي ليلة القدر الأمور التي فيها الخير والبركة والسلامة.

وقيل: يقدَّر في هذه ما يتعلَّق به إعزاز الدين، وما فيه النفع العظيم للمسلمين، وفي ليلة النصف يكتبُ أسماء من يموت، ويسلَّم إلى ملك الموت. والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

= نجم الدين القمولي المصري المتوفى سنة (٧٢٧هـ)، حيث كتب كلاهما تتمة لتفسير الرازي، ينظر تفصيل المسألة في كتاب «النحو وكتب التفسير» لإبراهيم رفيدة ٢/ ٨٢٧-٨٤٣، حيث جزم بهذه التتمة بما يشبه اليقين.

وقال الزهريُّ: المعنى: ليلة العظمة والشرف، من قولهم: رجلٌ له قَدْرٌ عند فلان، أي: منزلةٌ وشرفٌ، وسمِّيت بذلك لأنَّ من أتى بفعل الطاعات فيها صار ذا قَدْرٍ وشرفٍ عند الله عزَّ وجلَّ، أو لأنَّ الطاعات لها فيها ذلك.

وقيل: لأنَّه نزل فيها كتابٌ ذو قدرٍ، بواسطة مَلَكٍ ذي قَدْر، على رسولٍ ذي قدر، لأمَّةٍ ذات قَدْرٍ.

وقيل: لأنَّه يتنزَّل فيها ملائكةٌ ذوات قدر.

وقال الخليل بن أحمد: المعنى: ليلة الضيق، مِن قَدَر عليه رزقَه: ضيَّقَ، وسُمِّيت بذلك لأنَّ الأرض تضيقُ فيها بالملائكة عليهم السلام.

وخيريَّتُها من ألف شهر باعتبار العبادة عند الأكثرين، على معنى أنَّ العبادةَ فيها خيرٌ من العبادة في ألف شهر، ولا يَعلم مقدار خيريَّتها منها إلَّا هو سبحانه وتعالى، وهذا تفضُّلٌ منه تعالى، وله عزَّ وجلَّ أنْ يَخُصَّ ما شاء بما شاءَ، ورُبَّ عملٍ قليلٍ خيرٌ من عملٍ كثير، ولا ينافي هذا قاعدةَ أنَّ كلَّ ما كَثُر وشقَّ كان أفضل؛ لخبر مسلم أنَّه ﷺ قال لعائشة ﵂: «أجرُك على قَدْرِ نصبك»[1]؛ لأنَّها أغلبيَّةٌ على ما قال غيرُ واحد، ولا شكَّ أنَّ العملَ القليلَ قد يَفضُلُ الكثيرَ باعتبار الزمان، وباعتبار المكان، وباعتبار كيفيَّة الأداء، كصلاة واحدة أُدِّيَت بجماعة، فإنَّها تعدلُ خمساً وعشرين مرةً صلاةً مثلها أُدِّيت على الانفراد، إلى غير ذلك. نعم هذه الأفضليَّة قد تُعقَلُ في بعضٍ، وقد لا، كما فيما نحن فيه، ولا حجر على الله عز وجل، ولا يَعلم ما عنده سبحانه إلَّا هو جلَّ شأنُه.

وتخصيصُ الألْفِ بالذكر، قيل: إمَّا للتكثير، كما في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]، وكثيراً ما يراد بالأعداد ذلك. وفي «البحر» حكاية أنَّ المعنى عليه: خيرٌ من الدهر كلِّه[2]. أو لِمَا أخرجَ ابنُ المنذر وابن

---

(١) صحيح مسلم (١٢١١): (١٢٦) بنحوه، وأخرجه بنحوه أيضاً البخاري (١٧١٧). وسلف عند تفسير الآية (١٩) من سورة «ص».

(٢) البحر المحيط ٨/ ٤٩٦.

أبي حاتم والبيهقيُّ في «سننه» عن مجاهد أنَّ النبيَّ ﷺ ذكرَ رجلاً من بني إسرائيل لبسَ السلاح في سبيل الله تعالى ألفَ شهر، فعجبَ المسلمون من ذلك، وتقاصرت إليهم أعمالهم، فأنزل الله تعالى السورة[1].

وأخرج ابن أبي حاتم عن عليِّ بن عروة قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً أربعةً من بني إسرائيل، عبدوا الله تعالى ثمانينَ عاماً لم يعصوه طرفةَ عينٍ، فذكر أيوبَ، وزكريا، وحزقيل بن العجوز، ويوشع بن نون، فعجبَ أصحابُ رسول الله ﷺ من ذلك، فأتاه جبريلُ عليه السلام فقال: يا محمد عَجِبَتْ أمَّتُك من عبادة هؤلاء النفر ثمانينَ سنةً، فقد أنزل الله تعالى عليك خيراً من ذلك، فقرأ عليه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ إلخ، ثم قال: هذا أفضلُ مما عَجِبْتَ أنتَ وأمَّتُك منه. فسُرَّ بذلك رسولُ الله ﷺ[2].

وقيل: إنَّ الرجلَ فيما مضى ما كان يقال له عابدٌ حتَّى يعبدَ الله تعالى ألف شهر، فأُعطوا ليلةً إنْ أحيَوها كانوا أحقَّ بأنْ يسمَّوا عابدين من أولئك العباد.

وقال أبو بكر الوراق: كان مُلْكُ كلٍّ من سليمان وذي القرنين خمس مئة شهر، فجعل الله تعالى العملَ في هذه الليلة لمن أدركها خيراً من ملكهما.

وفي هذا نظرٌ؛ لأنَّه إن أُريد بذي القرنين الأوَّل، فهو على القول به قد ملكَ أكثرَ من ذلك بكثير، وإن أريد به الثاني، أعني قاتِلَ دارا، فهو قد ملكَ أقلَّ من ذلك بكثير.

وقيل: أُرِيَ ﷺ أعمارَ الأمم كافَّةً، فاستقصرَ أعمار أمَّته، فخاف عليه الصلاة والسلام أنْ لا يبلُغوا من العمل مثلَ ما بلغ غيرُهم في طُوْل العمر، فأعطاه الله تعالى ليلةَ القدر، وجعلَها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم، وذكره الإمام مالك في «الموطأ»[3].

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٧١، وأخرجه البيهقي في سننه ٤/ ٣٠٦، وقال: هذا مرسل.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٧١، وأورده ابن كثير في تفسيره ٨/ ٤٤٣ وهو من طريق مسلمة بن عُلَيّ عن علي بن عروة، وهما متروكان كما قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب.

(٣) ١/ ٣٢١. قال ابن عبد البر في التمهيد ٢٤/ ٣٧٣: لا أعلم هذا الحديث يروى مسنداً من وجه من الوجوه، ولا أعرفه في غير الموطأ مرسلاً ولا مسنداً، وهذا أحد الأحاديث التي انفرد بها مالك.

وقد سمعتَ ما يدلُّ على أنَّ الألفَ إشارةٌ إلى مُلكِ بني أميَّة، وكان ـ على ما قال القاسم بن الفضل ـ ألف شهرٍ لا يزيدُ يوماً ولا ينقص يوماً، وعلى ما قيل ثمانين سنةً، وهي ألف شهر تقريباً؛ لأنَّها ثلاثةٌ وثمانون سنةً وأربعةُ أشهر، ولا يعكِّر على ذلك مُلكهم في جزيرة الأندلس بعد؛ لأنَّه ملكٌ يسيرٌ في بعض أطراف الأرض، وآخرِ عمارة العرب، ولذا لم يعدّ مَن مَلَك منهم هناك من خلفائهم، وقالوا بانقراضهم بهلاك مروان الحمار.

وطعن القاضي عبد الجبار في كون الآية إشارةً لما ذُكرَ بأنَّ أيام بني أميَّة كانت مذمومةً ـ أي: باعتبار الغالب ـ فيبعدُ أنْ يقال في شأن تلك الليلة: إنَّها خيرٌ من ألف شهر مذمومة:

ألـم تـر أنَّ الـسـيـفَ يـنـقـصُ قـدره إذا قيل إنَّ السيفَ خيرٌ من العصا[1]

وأجيبَ بأنَّ تلكَ الأيام كانت عظيمةً بحسب السعادات الدنيويَّة، فلا يَبْعُدُ أن يقول الله تعالى: إنِّي أعطيتك ليلةً هي في السعادات الدينيَّة أفضل من تلك في السعادات الدنيوية[2].

وقيل: الأمرُ مبنيٌّ على زَعْمِ أنَّ في تلك الأيام خيراً، ومثلُه في القرآن كثير.

وزعم بعضهم أنَّه يُبْعِدُ صحَّةَ الخبر أنَّه تُشعر القصَّةُ عليه بأنَّه ليس لبني أمية من خيريَّةِ ليلة القدر نصيبٌ، وألَّا يجتمع لهم الخيران، فلا تبقى فائدةٌ في التسلية.

والتزامُ أنْ لا نصيب لهم لا يخفى حاله، وفيه نظر، ويترجَّح عندي ضعف ذلك الخبر، وقد سمعت ما قيل فيه[3].

---

(١) لا يعرف قائله، وسلف ٨/ ٨٨.

(٢) بعدها في (م): فلا تبقى فائدة.

(٣) ومما يرد على هذا المعنى: أنَّ السورة مكيَّةٌ، فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بني أمية، ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها؟! والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة الهجرة، فهذا كله مما يدل على ضعف هذا الحديث ونكارته. والله أعلم. قاله ابن كثير في تفسيره ٨/ ٤٤٢، وينظر ما سلف في بداية تفسير هذه السورة.

وذهب المُعْظَم إلى أنَّ المراد: خيرٌ من ألف شهر ليس فيها ليلةُ قدر، حتى لا يلزمَ تفضيلُها على نفسها.

وقيل: إذا كان المراد بذلك المبالغة في تفضيلها على غيرها مطلقاً، لا يحتاج إلى ما ذكر، فتأمَّله.

ثمَّ الظاهرُ أنَّ تلك الشهور غيرُ معينةٍ، بل هي ألف شهرٍ، أيِّ شهر كان. وقال أبو العالية: المراد: خيرٌ من ألف شهر رمضان ليس فيها ليلة القدر. وهو خلافُ الظاهر جداً(١).

واختلف في أنَّ تلك الليلةَ هل تستتبعُ يومَها أم لا؟

فقال الشعبيُّ: نعم، يومُها مثلها. وقيل: لعلَّ الوجه فيه أنَّ ذكرَ الليالي يستتبعُ الأيَّام، ومنه إذا نذر اعتكاف ليلتين لزمتاه بيومَيْهما.

والكثير: لا. لكن قيل: يسنُّ الاجتهادُ في يومها، كما يسنُّ فيها، ولذا جاء في وصفها: «إن الشمسَ تطلع صبيحتَها وليس لها شعاع» كما تقدَّم، أي: لعظم أنوار الملائكة الصاعدين والنازلين فيها، فإنَّه لا فائدةَ فيه سوى معرفة يومها، ولا فائدةَ فيها لو لم يُسنَّ الاجتهاد فيه.

ومنع بأنَّه يجوزُ أنْ تكون الفائدة معرفتها نفسها؛ ليجتَهد فيها مِن قَابِل، بناءً على أنَّها لا تنتقل.

وظاهرُ الآية أنَّها أفضلُ من ليلة الجمعة، والمسألةُ خلافيَّةٌ، وأكثرُ الأئمة على أنَّها أفضل منها للآية، ولأنَّ الله تعالى أنزلَ فيها القرآن، وهو هو، ولم ينزله في غيرها، ولأنَّه سبحانه أمر بطلبها، فعن ابن عباس أنَّه قال في قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٨٧]: ليلة القدر، ولأنَّه عزَّ وجل جعلَها ليلة الفَرْق والحكم، فقال جلَّ شأنُه: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] وسَمَّاها جلَّ وعلا ليلةَ القدر، أي: التقدير، ولما رُوي عن كعب أنَّه قال: إنَّ الله تعالى اختارَ

(١) من قوله: وقيل: الأمر... إلى هنا ساقط من (م). وضرب عليه في النسخة النعمانية (ب).

الساعات، فاختارَ ساعات أوقات الصلاة، واختار الأيام، فاختار يوم الجمعة، واختار الشهور، فاختار[١] رمضان، واختار الليالي، فاختار ليلة القدر، فهي أفضلُ ليلةٍ في أفضل شهر. ولأنَّ النبيَّ ﷺ حثَّ على العمل فيها، فقد صحَّ: «من قام ليلةَ القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»[٢]. وفي رواية: «وما تأخَّر»[٣]. ونهى[٤] عليه الصلاة والسلام أنْ يخصَّ ليلة الجمعة بقيام ويومَها بصيام[٥]، ولأنَّه سبحانه وتعالى أخفاها ولم يعيِّنها، كما أخفى سبحانه أعظمَ أسمائه عزَّ وجلَّ، وكما أخفى جلَّ شأنُه أفضلَ الصلوات، وهي الصلاة الوسطى، إلى غير ذلك.

وذهب أكثر الحنابلة كأبي الحسن الجزريّ[٦] وأبي عبد الله بن بطَّة[٧] وأبي حفص البرمكيّ[٨] وغيرهم إلى أنَّ ليلة الجمعة أفضل[٩]؛ لما أخرجَ مقاتلٌ عن الضحَّاك

---

(١) بعدها في (م): شهر.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجها النسائي في الكبرى (٢٥٢٣). قال ابن عبد البر في التمهيد ٧/ ١٠٥: وزيادة «وما تأخر» زيادة منكرة. وانظر التعليق على الحديث (٧٢٨٠) في مسند أحمد.

(٤) جاء في هامش الأصل ما نصه: قيل: إن ذلك لئلا يضعف المرء عن صلاة الجمعة، أو يغلبه النوم عنها لسهرة في ليلتها، فلا دلالة فيه على المقصود. اهـ منه.

(٥) أخرجه مسلم (١١٤٣): (١٤٨) من حديث أبي هريرة، ولفظه: «لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصُّوا يوم الجمعة بصيامٍ من بين الأيام، إلَّا أن يكون في صومٍ يصومه أحدكم».

(٦) بغدادي، له قدم في المناظرة ومعرفةِ الأصول والفروع، تخصص بصحبة أبي علي النجَّاد، وصحب غيره، وله اختيارات. طبقات الحنابلة ٢/ ١٧٦. وقيل: هو عبد العزيز بن أحمد الخرزي (كذا)، المتوفى سنة (٣٩١هـ). انظر تسهيل السابلة ١/ ٤٤٥، وانظر ما علقه المعلمي في تحقيقه لأنساب السمعاني ٥/ ٨٢.

(٧) هو عبيد الله بن محمد العكبري الحنبلي، صاحب كتاب الإبانة الكبرى. توفي سنة(٣٨٧هـ). طبقات الحنابلة ٢/ ١٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٢٩.

(٨) هو عمر بن أحمد بن إبراهيم البرمكي، من الفقهاء الأعيان النساك. من مصنفاته: المجموع، وشرح بعض مسائل الكوسج، توفي سنة (٣٣٧هـ). مختصر طبقات الحنابلة للنابلسي ص٣٤٩.

(٩) والمعتمد الصحيح من المذهب ـ كما قال المرداوي في الإنصاف ٧/ ٥٥٨ـ أنَّ ليلة القدر أفضل الليالي.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يغفرُ الله تعالى ليلةَ الجمعةِ لأهل الإسلام أجمعين»[1]، وهذه فضيلةٌ لم تجئ لغيرها، ونحوه ما رُوي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ليلة جمعةٍ إلَّا وينظرُ الله تعالى إلى خلقه ثلاث مرات، فيغفر لمن لا يشرك بالله تعالى شيئاً»[2].

ولأنَّه رَوى ابن بشكوال بسنده إلى عمر رضي الله عنه أنَّه ﷺ قال: «أكثروا الصلاةَ عليَّ في الليلة الغرَّاء واليوم الأزهر»[3]، ليلة الجمعة ويوم الجمعة، والغُرَّةُ من الشيء خيارُه.

ولأنَّه قد رَوى كثيرون ـ منهم الإمام أحمد ـ أنَّ يومها سيِّدُ الأيَّام وأعظمُها، وأعظمُ عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الأضحى[4].

وصحَّح ابنُ حبان خبر: «لا تطلع الشمسُ ولا تغرب على يومٍ أفضلَ من يوم الجمعة»[5]، فهي لذلك سيِّدةُ الليالي وأعظمُها وأفضلها.

ولأنَّها معيَّنةٌ مشهودةٌ يشهدها الخاصُّ والعامُّ من ذكرٍ وأنثى، وصغيرٍ وكبيرٍ، وبصيرٍ وضرير، وتصل بركتُها إلى الأحياء والأموات، وليلة القدر غير معيَّنةٍ، فلا ينتفعُ بها إلَّا قليلٌ. إلى غير ذلك.

وأجاب هؤلاء عن الآية بأنَّه لَمَّا أريد فيها أنَّها خيرٌ من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ـ كما قال قتادة وغيره ـ فليُرَدْ أيضاً أنَّها خيرٌ من ألف شهر ليس فيها ليلةُ جمعة، ويدلُّ للأمرين أنَّ أكثر أسباب النزول السابقة تدلُّ على أنَّ المراد بالشهور شهورُ مَن تقدَّمَنا، وهي ليس فيها ليلةُ قَدْرٍ، ولا ليلة جمعة، أي: لم يكونا فيها

(١) لم نقف عليه، ومقاتل ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.
(٢) لم نقف عليه.
(٣) أورده العجلوني في كشف الخفاء ١/ ١٨٩ وذكر أن ابن بشكوال أخرجه بسند ضعيف. اهـ، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٢٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ١٦٩: فيه عبد المنعم بن بشير الأنصاري، وهو ضعيف.
(٤) أخرجه أحمد (١٥٥٤٨) من حديث أبي لبابة البدري مرفوعاً.
(٥) صحيح ابن حبان (٢٧٧٠).

بوصف الفضل المعروف، وهذا معنى كونهما من خصائصنا[١].

وعن سائر[٢] المستندات بأنَّ بعضها معارَضٌ، وبعضها لا يدلُّ على أكثر من فضلها، وهو مِمَّا[٣] لم ينكره أحدٌ.

والأوَّلون أجابوا عن مستنداتهم بنحو ما أجابوا، وللتعارض قال أحمد بن الحسين بن يعقوب بن قاسم المقري من الحنابلة: إنَّ القولين في المسألة قولان شائعان بين الأصحاب، ولكلٍّ دلائلُ تدلُّ على صوابيته، فلا ينبغي لأحدٍ أن يُطلق الخطأ على قائل كلٍّ منهما.

وأنت بعد التأمُّل في أدلَّة الطرفين، والوقوف على أحوالها يتعيَّنُ عندك أفضليَّةُ ليلة القدر تعيُّنَ ليلة الجمعة.

وهاهنا قولٌ متوسِّطٌ بين القولين، حكى القاضي أبو يعلى أنَّ أبا الحسن التميميَّ[٤] من الحنابلة أيضاً كان يقول: ليلةُ القدر التي أنزل فيها القرآن أفضلُ من ليلة الجمعة؛ لما حصل فيها من الخير الكثير الذي لم يحصل في غيرها، فأمَّا أمثالُها من ليالي القدر فليلةُ الجمعة أفضل منها.

وقيل نظيره في ليلة المعراج مع ليلة الجمعة ونحوها.

ثم إنَّ ظاهر كلام بعض الحنفيَّة كصاحب «الجوهرة» أنَّ ليلة النحر أفضلُ من ليلة القدر وسائرِ ليالي السنة. ويرِدُ عليه ظاهر الآية أيضاً، ولعله يجيبُ بنحو ما سبق آنفاً.

ونقل الطحطاويُّ عليه الرحمة في «حواشي الدرِّ المختار» عن بعض الشافعية أنَّ أفضل الليالي ليلةُ مولده عليه الصلاة والسلام، ثمَّ ليلة القدر، ثمَّ ليلةُ الإسراء

---

(١) من قوله: أي: لم يكونا... إلى هنا ليس في (م)، وضرب عليها في النسخة النعمانية (ب).

(٢) معطوف على قوله: وأجاب هؤلاء....

(٣) في (م): ما.

(٤) هو عبد العزيز بن الحارث بن أسد، صاحب تصانيف في الأصول والفروع والفرائض. توفي سنة (٣٧١هـ). طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٩.

والمعراج، ثمَّ ليلة عرفة، ثمَّ ليلة الجمعة، ثمَّ ليلة النصف من شعبان، ثمَّ ليلة العيد[(١)].

وأنا لا أرى أنَّ له ما يعوِّل عليه في ذلك. والله تعالى أعلم.

وما أشير إليه من كونها من خصائص هذه الأمة هو الذي يقتضيه أكثرُ الأخبار الواردة في سبب النزول، وصرح به الهيتميُّ[(٢)] وغيره، وقال القسطلانيُّ: إنه معترَضٌ بحديث أبي ذرٍّ عند النسائي، حيث قال فيه: يا رسول الله، أتكون مع الأنبياء، فإذا ماتوا رُفِعَت. قال: «بل هي باقية»[(٣)]، ثمَّ ذكر أنَّ عمدةَ القائلين بذلك الخبرُ الذي قدَّمناه في سبب النزول من رؤيته ﷺ تقاصُرَ أعمار أمَّته عن أعمار الأمم، وتعقَّبه بقوله: هذا محتمِلٌ للتأويل، فلا يَدْفَعُ الصريحَ في حديث أبي ذرٍّ، كما قاله الحافظان ابنُ كثير في «تفسيره» وابن حجر في «فتح الباري». انتهى[(٤)].

والحقُّ الأوَّل، والصراحة في حيِّز المنع، وقد أخرجَ الديلميُّ عن أنس عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى وهبَ لأمَّتي ليلةَ القدر، ولم يعطها من كان قبلَهم»[(٥)]. فتأمَّل ولا تغفل.

وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ استئنافٌ مبيِّنٌ لمناط فضلها على تلك المدَّة المديدة، فضميرُ «فيها» لـ «ليلة»، وزعم بعضهم أنَّ الجملةَ صفةٌ لـ «ألف شهر»، والضمير لها. وليس بشيء.

وجوَّزَ بعضُهم كونَ الضمير للملائكة، على أنَّ «الروحَ» مبتدأ، لا معطوفٌ على

---

(١) حاشية الطحطاوي ١/ ٥٠٥.

(٢) المنهاج القويم ص٣٨٤.

(٣) سنن النسائي الكبرى (٣٤١٣)، وهو عند أحمد (٢١٤٩٩).

(٤) المواهب اللدنية بشرح الزرقاني ٨/ ١٣٩. وانظر تفسير ابن كثير ٨/ ٤٤٥-٤٤٦، وفتح الباري ٤/ ٢٦٣.

(٥) الفردوس ١/ ١٧٣. ورمز السيوطي لضعفه في الجامع الصغير. قال المناوي في فيض القدير ٢/ ٢٦٩: وفيه إسماعيل بن أبي زياد الشامي، قال الذهبي في الضعفاء عن الدارقطني: ممن يضع الحديث.

«الملائكة»، و«فيها» خبره، لا متعلِّق بـ «تَنَزَّلُ»، والجملة حالٌ من «الملائكة». وهو خلاف الظاهر.

و«الروح» عند الجمهور هو جبريل عليه السلام، وخُصَّ بالذكر؛ لزيادة شرفه، مع أنَّه النازل بالذكر.

وقيل: مَلَكٌ عظيمٌ، لو التقمَ السماوات والأرض كان ذلك له لقمةً واحدةً. وذكر في «التيسير» من وصفه ما يُبهر العقول، والله تعالى أعلم بصحة الخبر.

وقال كعب ومقاتلٌ: الروحُ طائفةٌ من الملائكة، لا تراهم الملائكة إلَّا تلك الليلة، كالزُّهاد الذين لا نراهم إلَّا يوم العيد أو الجمعة.

وقيل: حفظة على الملائكة، كالملائكة الحفظة علينا.

وقيل: خلقٌ من خلق الله تعالى يأكلون ويلبسون، ليسوا من الملائكة ولا من الإنس ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، ولعلَّهم ـ على ما قيل ـ خدمُ أهل الجنة.

وقيل: هو عيسى عليه السلام، ينزلُ لمطالعة هذه الأُمَّة، وليزورَ النبيَّ ﷺ.

وقيل: أرواحُ المؤمنين، ينزلون لزيارة أهليهم.

وقيل: الرحمة، كما قرئ: «لا تيأسوا من رُوْح الله» [يوسف: ٨٧] بالضمِّ(١).

وعلى الأول المعوَّل.

والظاهرُ الذي تشهدُ له الأخبار أنَّ التنزُّل إلى الأرض، فقيل: إنَّ ذلك لِمَا ذكر الله تعالى بعدُ، وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام فيه.

وقيل: ينزلون إليها للتسليم على المؤمنين.

وقيل: لأنَّ الله تعالى جعلَ فضيلة هذه الليلة في الاشتغال بطاعته في الأرض، فهم ينزلون إليها لتصير طاعاتهم أكثر ثواباً، كما أنَّ الرجلَ منَّا يذهبُ

---

(١) هي قراءة عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة كما سلف ١٢/ ٤٦٩.

إلى مكّة لتصير طاعتُه كذلك، فيكون المقصود من الإخبار بذلك ترغيبَ الإنسان في الطاعة.

وقال عصام الدين: يحتملُ أن يكون تنزلُّهم لإدراكها، إذ ليس في السماء ليلٌ، والجملة حينئذٍ مقرِّرةٌ لما سبق، لا مبيِّنَةٌ لمناط الفضل. وفيه نظرٌ لا يخفى.

وقيل غيرُ ذلك ممَّا سنشيرُ إليه إن شاء الله تعالى.

وقيل: المرادُ تنزُّلُهم إلى السماء الدنيا. وهو خلاف المتبادر، وأنْزَلُ منه بكثيرٍ كونُ المراد بتنزُّلهم تنزُّلهم عن مراتبهم العليَّةِ من الاشتغال بالله تعالى والاستغراقِ بمطالعة جلاله عزَّ وجلَّ ليسلِّموا على المؤمنين.

واستُظهر أنَّ المرادَ بالملائكة عليهم السلام جميعُهم، واستُشكِل بأنَّ لهم كثرةً عظيمةً لا تتحمَّلُها الأرض وكذا السماء الدنيا؛ لأنَّها قبلَ نزولهم مملوءةٌ؛ «أطَّتِ السماء وحُقَّ لها أن تئطَّ، ما فيها موضعُ قدمٍ إلَّا وفيه مَلَكٌ ساجدٌ أو راكعٌ أو قائم»[1].

وأجيبَ بأنَّهم ينزلون فوجاً فوجاً، فمِن نازلٍ وصاعد، كالحُجَّاج، فإنَّهم على كثرتهم يدخلون الكعبةَ مثلاً بأسرهم، لكنْ لا على وجه الاجتماع، بل هم بين داخلٍ وخارج، وفي التعبير بـ «تنزَّل» المفيد للتدريج دون: تَنْزِل، رمزٌ إليه.

وقيل: إنَّهم لكونهم أنواراً لا تزاحُمَ بينهم، فالنورُ إذا ملأ حجرةً ـ مثلاً ـ لا يمنع من إدخال ألف نورٍ عليه. وهو كما ترى.

ومن الناس مَن خَصَّ الملائكة ببعض فرقهم، وهم سكانُ سدرة المنتهى، أو بعضٍ منهم، وفي «الغنية» للقطب الرباني الشيخ عبد القادر الكيلانيّ قُدِّس سره: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا كان ليلة القدر، يأمر الله تعالى جبريلَ عليه السلام أن ينزل إلى الأرض ومعه سكان سدرة المنتهى، سبعون ألف ملك، ومعهم ألويةٌ من نور، فإذا هبطوا إلى الأرض رَكز جبريل عليه السَّلام لواءَه والملائكةُ عليهم السلام

---

(١) سلف ٢/ ٨٧ من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ألويتَهم في أربعة مواطن، عند الكعبة، وقبر النبيِّ ﷺ، ومسجد بيت المقدس، ومسجد طور سيناء، ثم يقول جبريل عليه السلام: تفرَّقوا، فيتفرَّقون، ولا يبقى دارٌ ولا حجرٌ ولا بيتٌ ولا سفينةٌ فيها مؤمنٌ أو مؤمنةٌ إلَّا دخلته الملائكة عليهم السلام، إلَّا بيتاً فيه كلبٌ، أو خنزيرٌ، أو خمرٌ، أو جُنُبٌ من حرام، أو صورةُ تماثيل، فيسبِّحون، ويقدِّسون، ويهلِّلون، ويستغفرون لأمَّة محمدٍ ﷺ، حتى إذا كان وقت الفجر، ثمَّ يصعدون إلى السماء، فيستقبلهم سكان السماء الدنيا، فيقولون لهم: من أين أقبلتم؟ فيقولون: كنَّا في الدنيا؛ لأنَّ الليلةَ ليلةُ القدر لأمَّةِ محمَّد ﷺ، فيقول سكان السماء الدنيا: ما فعلَ الله تعالى بحوائج أمَّة محمدٍ ﷺ؟ فيقول جبريل عليه السلام: إنَّ اللهَ تعالى غفرَ لصالحهم، وشفَّعهم في طالحهم، فترفعُ ملائكة السماء الدنيا أصواتَهم بالتسبيح والتقديس والثناء على ربِّ العالمين؛ شكراً لما أعطى الله تعالى هذه الأمَّة من المغفرة والرضوان، ثم تشيِّعهم ملائكةُ السماء الدنيا إلى الثانية كذلك، وهكذا إلى السابعة، ثمَّ يقول جبريل عليه السلام: يا سكان السماوات، ارجعوا. فيَرجعُ ملائكةُ كلِّ سماءٍ إلى مواضعهم، فإذا وصلُوا إلى سدرة المنتهى، يقول لهم سكانها: أين كنتم؟ فيجيبونهم مثل ما أجابوا أهل السماوات، فيَرفعُ سكانُ سدرة المنتهى أصواتهم بالتسبيح والتهليل والثناء، فتسمعُ جنَّة المأوى، ثمَّ جنَّة النعيم، وجنَّة عدن، والفردوس، ويسمعُ عرش الرحمن، فيَرفعُ العرشُ صوتَه بالتسبيح والتهليل والثناء على ربِّ العالمين؛ شكراً لما أعطى هذه الأمَّة، ويقول: إلهي، بَلَغني عنك أنَّك غفرتَ البارحةَ لصالحي أمَّة محمدٍ ﷺ، وشفَّعتَ صالحها في طالحها، فيقول الله عز وجل: صدقتَ يا عرشي، ولِأُمَّة محمدٍ عليه الصلاة والسلام عندي من الكرامة ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر(١).

وفي رواية عن كعب: نزولُ جميعِ ملائكة سدرة المنتهى مع جبريل عليهم السلام، ولا يعلم عددهم إلَّا الله تعالى، وإنَّ جبريلَ عليه السلام لا يدعُ أحداً من الناس إلَّا صافحه.

---

(١) الغنية ٢/ ١٤.

وفي رواية: لا يدع مؤمناً ولا مؤمنةً إلَّا سلَّم عليه إلَّا مدمن الخمر، وآكل لحم الخنزير، والمتضمِّخُ بالزعفران، وإنَّ علامةَ مصافحته عليه السلام اقشعرارُ الجلد، ورقَّة القلب، ودمع العينين.

ورُوي في نزوله مع الملائكة عليهم السلام وعروجِه معهم غيرُ ذلك، وقد ذكرَ بعضاً من ذلك الإمام[1] وغيره، ونسأل الله تعالى صحَّة الأخبار.

وذكر بعضهم أنَّ جبريل عليه السلام يقسمُ تلك الليلة ما ينزلُ من رحمة الله تعالى، حتى يستغرقَ أحياء المؤمنين، فيقول: يا ربِّ، بقي من الرحمة كثير، فما أصنع به؟ فيقول الله عزَّ وجلَّ: قسِّم على أموات أمَّة محمد ﷺ، فيقسم حتى يستغرقهم، فيقول: يا رب، بقي من الرحمة كثير، فما أصنعُ به؟ فيقول سبحانه وتعالى: قسِّمْه على الكفار، فيقسمه عليهم، فمن أصابه منهم شيءٌ من تلك الرحمة ماتَ على الإيمان.

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ متعلِّق بـ «تَنَزَّلُ»، أو بمحذوفٍ هو حالٌ من فاعله، أي: مُلْتَبِسين بإذن ربِّهم، أي: بأمره عزَّ وجلَّ. والتقييد بذلك لتعظيم أمر تنزُّلهم، وقيل: للإشارة إلى أنَّهم يرغبون في أهل الأرض من المؤمنين، ويشتاقون إليهم، فيستأذنون فيؤذنُ لهم. وفيه نوعُ ترغيبٍ في الاجتهاد في الطاعة.

واستشكل أمرُ هذه الرغبة مع كثرة المعاصي.

وأجيبَ بأنَّهم غير واقفين على تفاصيلها، أو لم يعتبروها مانعةً من ذلك؛ لأنَّهم يرون من أنواع الطاعات ما لا يرونه في السماء، أو ليسمعوا أنينَ العصاة التائبين، ففي الحديث القدسيِّ: «لأنينُ المذنبين أحبُّ إليَّ من زجلِ المسبِّحين»[2]، أو ليجتمعوا مع مَن بينه وبينهم مناسبةٌ من الصديقين؛ أداءً لمراسم المحبة، فإنَّ أرواحَ

---

(١) تفسير الرازي ٣٢/ ٣٣-٣٤.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٥١) عن أبي علي صاحب عبيد الله الحبلي يقول: أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: أنين المذنبين أحبُّ إليَّ من صراخ الصديقين. وأورده العجلوني في كشف الخفا ١/ ٣٠٥ وقال بعده: لينظر.

الصديقين المتجرِّدةَ عن جلابيب الأبدان لم تَزَلْ تزور الملائكة عليهم السلام في مواضعهم بعروجها إليهم، فناسبَ أن تزورَهم الملائكةُ عليهم السلام في زواياهم، وإن اقتضى ذلك الاجتماعَ مع غيرهم ممَّن ليسوا كذلك، فإنَّه أمرٌ تبعيٌّ:

ولِأَجْلِ عينٍ ألفُ عينٍ تكرَمُ[1]

﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: من أجل كلِّ أمرٍ تعلَّق به التقدير في تلك السنة إلى قابل، وأظهرَه سبحانه وتعالى لهم، قاله غيرُ واحد، فـ «من» بمعنى اللام التعليليَّة متعلِّقةٌ بـ «تنزَّل».

قال عصام الدين: فإن قلت: المقدَّراتُ لا تُفْعلُ في تلك الليلة، بل في تمام السنة، فلماذا تنزلُ الملائكة عليهم السلام فيها لأجل تلك الأمور.

قلت: لعلَّ تنزُّلهم لتعيين إنفاذ تلك الأمور لهم، وتنزُّلُهم لأجْل كلِّ أمرٍ ليس على معنى تنزُّلِ كلِّ واحدٍ لأجل كلِّ أمرٍ، ولا تنزُّلِ كلِّ واحدٍ لأمر، بل على معنى تنزُّل الجميع لأجل جميع الأمور، حتى يكون في الكلام تقسيمُ العلل على المعلولات. انتهى.

وأقول: يمكنُ أن يكون تنزُّلهم لإعداد القوابل لقَبول ما أمروا به، وأشار بما ذكره من التقسيم إلى أنَّه يجوزُ أن يكونَ نزولُ الواحد منهم لعدَّة أمور.

وقولهم: من أجل كلِّ أمرٍ تعلَّق.. إلخ، قد تقدَّم ما فيه من البحث فتذكَّر.

وقال أبو حاتم: «من» بمعنى الباء، أي: تَنَزَّلُ بكلِّ أمر، فقيل: أي: من الخير والبركة، وقيل: من الخير والشرِّ، وجُعِلت الباءُ عليه للسببيَّة، فيرجع المعنى إلى نحو ما مرَّ، ومنهم من جعلَها للملابسة، والمراد بملابستهم له ملابستهم للأمر به، فكأنَّه قيل: تنزَّل الملائكةُ وهم مأمورون بكلِّ أمرٍ يكون في السنة، وكونُهم يتنزَّلون وهم كذلك لا يستدعي فعلَهم جميعَ ما أُمروا به في تلك الليلة.

والظاهرُ ـ على ما قالوا ـ أنَّ المراد بالملائكة المدبِّرات، إذ غيرُهم لا تعلُّق له

(١) هو للشاب الظريف، وسلف بتمامه ١/ ٢٧٧.

في الأمور التي تعلَّق بها التقدير ليتنزَّلوا لأجلها على المعنى السابق، وهو خلاف ما تدلُّ عليه الآثار من عدم اختصاصهم بالمدبِّرات، فتدبَّر. وكأنَّه لذلك قيل: إنَّ «من كلِّ أمر» متعلِّقٌ بقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ﴾ وهو مصدرٌ بمعنى السلامة، خبرٌ مقدَّمٌ، وقوله تعالى: ﴿هِيَ﴾ مبتدأ، أي: هي سلامٌ من كلِّ أمرٍ مخوف، وتعلُّقُه بذلك على التوسُّع في الظرف، وإلَّا فمعمول المصدر لا يتقدَّم عليه في المشهور.

وقيل: هو متعلِّقٌ بمحذوفٍ مقدَّمٍ يفسِّره المذكور، ومَن وقف على كلام العلامة التفتازانيِّ في أوائل «شرح التلخيص» في مثل ذلك استغنى عما ذُكر.

وقيل: «من كلِّ أمر» متعلِّقٌ بـ «تَنَزَّلُ»، لكن على معنى: تنزل إلى الأرض منفصلةً من كلِّ أمرٍ لها في السماء، وتاركةً له. وفيه إشارةٌ إلى مزيد الاهتمام بالتنزُّل إلى الأرض، وفيه من البُعد ما فيه.

وتقديمُ الخبر للحصر، كما في: تميميٌّ أنا، والإخبار بالمصدر للمبالغة، أي: ما هي إلَّا سالمةٌ جدًّا، حتَّى كأنَّها عينُ السلامة.

قال الضَّحَّاك في معنى ذلك: إنَّه تعالى لا يُقَدِّر ولا يقضي فيها إلَّا السلامة. قيل: أي: لا يَنفذُ تقديره تعالى ويَتعلَّق قضاؤه إلَّا بذلك[1]. وحاصله: لا يوجد إلَّا ذلك.

وقال مجاهد: إنَّها سالمةٌ من الشيطان وأذاه، وروي أنَّ الشيطان لا يخرجُ في ليلة القدر حتى يضيء فجرُها[2]، ولا يستطيع أنْ يصيبَ فيها أحداً بخبلٍ أو داءٍ أو ضربٍ من ضروب الفساد، ولا يَنفذُ فيها سحرُ ساحرٍ.

ولعلَّ ما يصدرُ من المعاصي ـ على هذا ـ من النفس الأمَّارة بالسوء، لا بواسطة الشيطان.

واستشكل كلامُ الضَّحَّاك ـ بناءً على ما قيل فيه ـ بأنَّه لا تَخلو ليلةٌ من الشرِّ

---

(١) بعدها في الأصل: هو.

(٢) قوله: أن الشيطان لا يخرج... إلى هذا الموضع أخرجه ابن خزيمة (٢١٩٠)، وابن حبان (٣٦٨٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

والأمر المَخُوف، ولا مُوْجِدَ إلَّا الله عزَّ وجلَّ، فلعلَّه أرادَ ما تقدَّم نقلُه غيرَ بعيدٍ من أنَّ الله تعالى إنَّما يقدِّرُ في هذه الليلة السلامةَ والخير، أي: لا يُظهِر سبحانَه للملائكة عليهم السلام إلَّا تقديره عزَّ وجلَّ ذلك.

وقيل: ما هي إلَّا سلامةٌ، على نحو: ما رسولُ الله ﷺ إلَّا رحمة، والمراد أنَّها سببٌ تامٌّ للسلامة والنجاة من المهالك يومَ القيامة، حيث إنَّ مَن قامها إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه.

وقيل: السلام مصدرٌ بمعنى التسليم، أي: ما هي إلَّا تسليمٌ؛ لكثرة التسليم والمسلِّمين من الملائكة على المؤمنين فيها، وروي ذلك عن الشعبيِّ ومنصور. وجَعْلُها عينَ التسليم للمبالغة أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ غايةٌ تبيِّنُ تعميمَ السلامة أو التسليم كلَّ الليل[1]، فالجارُّ متعلِّقٌ بـ «سلامٌ»، و«مطلع» اسم زمان، وقد صرَّحوا أنَّه مِن يَفْعُلُ، ويَفْعل بفتح العين وضمِّها، على مفعَل مفتوح العين. وجُوِّزَ كونُه مصدراً ميميًّا، بمعنى الطلوع، ويحتاج إلى تقدير مضافٍ قبلَه هو: وقت، أو ما في معناه؛ لتتَّحِد الغايةُ والمغيَّا، فيكونان من جنسٍ واحد.

وصَحَّ تعلُّق الجارِّ بذلك مع الفصل؛ لأنَّه ليس بمصدرٍ نظراً للحقيقة.

وأفاد الطبرسيُّ وغيره أنَّه لابدَّ من تأويله بـ : سالمة، أو: مسلَّمة؛ ليصحَّ التعلُّق، أمَّا لو أبقي على مصدريَّته، فلا يصحُّ؛ للزوم الفصل بين الصلة والموصول[2].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الفصلَ بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفرٌ.

وجُوِّز أن تتعلَّق الغايةُ بـ «تَنَزَّل»، على معنى أنَّه لا ينقطعُ تنزُّلهم فوجاً بعد فوج إلى وقت طلوع الفجر.

---

(١) في (م): الليلة.
(٢) مجمع البيان ٣٠/ ١٩١.

وتُعقِّبَ بأنَّه تعسُّفٌ؛ لأنَّ «سلامٌ هي» أجنبيٌّ وليس باعتراض، فلا يحسن الفصلُ به. وجعلُه حالاً عن[1] الضمير المجرور في قوله تعالى: «فيها»، أي: ذات سلامة، أو سلام، لا يخفى حاله.

وقيل: يجوزُ أنْ يكون الوقف على «سلام»، وهو خبرٌ لمحذوف، و«من كلِّ أمر» متعلِّقٌ به، و«هي» مبتدأ، و«حتى مطلع الفجر» خبره.

ولم يجوِّز ذلك الطيبيُّ والطبرسيُّ وغيرهما؛ قالوا: لعدم الفائدة بالإخبار عنها بأنَّها حتى مطلع الفجر، إذ كلُّ ليلةٍ بهذه الصفة[2].

وأجيب بأنَّه لمَّا أَخبرَ عنها بأنَّها خيرٌ من ألف شهر، وفَهِّم أنَّها مخالفةٌ لسائر الليالي في الصفة، وكان ذلك مظنَّةَ توهُّم أنَّ ذاتَها في المقدار مغايرةٌ لذوات الليالي فيه أيضاً، دفعَ ذلك بقوله تعالى: ﴿هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: لم تخالف سائرَ الليالي في ذلك، وإنْ خالفَتْهَا في الفضل والخيريَّة.

وقرأ ابن عباس وعكرمة والكلبيُّ: «من كلِّ امرئ» بهمزٍ في آخره[3]، أي: تنزُّلُ من أجل كلِّ إنسانٍ، أي: من أجل ما يتعلَّق به ممَّا قُدِّر في تلك الليلة، ويرجعُ إلى نحو ما تقدَّم، أو من أجل مصلحته من الاستغفار له ونحوه، على أنَّ المرادَ بذلك كلُّ امرئ مؤمنٍ، على ما قيل.

وقيل: الجارُّ متعلِّقٌ بـ «سلام»، والمراد بـ «كلِّ امرئٍ» الملائكةُ عليهم السلام، أي: سلامٌ وتحيَّةٌ هي على المؤمنين من كلِّ مَلَك.

وأنكر ـ كما قال ابن جنِّي ـ هذه القراءةَ أبو حاتم[4].

وقرأ أبو رجاء والأعمش وابن وثَّاب وطلحة وابن محيصن والكسائيُّ،

---

(١) في (م): من.
(٢) مجمع البيان ٣٠/ ١٩٢.
(٣) القراءات الشاذة ص١٧٦، والمحتسب ٢/ ٣٦٨، والبحر المحيط ٨/ ٤٩٧.
(٤) المحتسب ٢/ ٣٦٨.

وأبو عمرو بخلافٍ عنه: «مَطْلِع» بكسر اللام[1]، على أنَّه مصدرٌ، كالمرجِع، ويقدَّر مضافٌ كما سمعتَ، أو اسمُ زمانٍ على غير قياس، كالمشرِق، فإنَّ مفعِلاً بالكسر قياس يَفْعِلُ مكسور العين.

وفي «البحر»: قيل: مطلَع ومطلِع بالفتح والكسر مصدران في لغة تميم، وقيل: المصدر بالفتح، وموضع الطلوع بالكسر عند أهل الحجاز[2]. انتهى. وإرادة الموضع هاهنا لا موضعَ لها كما لا يخفى هذا.

واعلم أنَّه يُسَنُّ الدعاء في هذه الليلة المباركة، وهي أحدُ أوقات الإجابة، وأخرج الإمام أحمد، والترمذيُّ وصححه، والنسائيُّ، وابن ماجه وغيرهم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: إنْ وافقتُ ليلةَ القدر، فما أقول؟ قال: «قولي: اللهمَّ إنَّك عفوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عني»[3].

ويجتهد فيها بأنواع العبادات من صلاة وغيرها.

وقال سفيان الثوريُّ: الدعاء في تلك الليلة أحبُّ من الصلاة، ثم أفاد أنَّه إذا قرأ ودعا كان حسناً، وكان ﷺ يجتهدُ في ليالي شهر رمضان، ويقرأ فيها قراءةً مرتَّلةً، لا يمرُّ بآيةِ رحمةٍ إلَّا سأل، ولا بآية عذابٍ إلَّا تعوَّذ[4].

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٤٩٧، وقراءة الكسائي في التيسير ص٢٢٤، والنشر ٢/ ٤٠٣، وهي قراءة خلف من العشرة. وقراءة أبي عمرو المتواترة عنه كقراءة الجمهور.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٤٩٧.

(٣) مسند أحمد (٢٥٣٨٤)، وسنن الترمذي (٣٥١٣)، والسنن الكبرى للنسائي (٧٦٦٥)، وسنن ابن ماجه (٣٨٥٠).

(٤) أخرج الإمام مسلم في صحيحه (٧٧٢) من حديث حذيفة أنه صلى مع النبي ﷺ ذات ليلة... يقرأ مترسِّلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيحٌ سبَّح، وإذا مرَّ بسؤالٍ سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذ تعوَّذ.
وأخرجه أبو داود (٨٧١)، والترمذي (٢٦٢) و(٢٦٣)، والنسائي ٢/ ١٧٦-١٧٧، وابن ماجه (١٣٥١)، وأحمد (٢٣٢٤٠) بنحوه.
وليس فيها تعيين أن تدبُّرَ النبيِّ كان في ليالي رمضان، بل هو شأن النبي ﷺ في جميع لياليه.

وذكر ابن رجب[(١)] أنَّ الأكملَ الجمعُ بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكُّر. وقد كان عليه الصلاة والسلام يفعلُ ذلك كلَّه لاسيما في العشر الأواخر.

ويحصلُ قيامها ـ على ما قال البعض ـ بصلاة التراويح، وأخرج البيهقيُّ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلَّى المغربَ والعشاءَ في جماعةٍ حتَّى ينقضي شهرُ رمضان، فقد أصاب من ليلة القدر بحظٍّ وافر»[(٢)].

وأخرج مالك وابن أبي شيبة وابن زنجويه والبيهقيُّ عن سعيد بن المسيب قال: من شهدَ العشاء ليلة القدر في جماعةٍ، فقد أخذَ بحظِّه منها[(٣)].

وفي «تحفة المحتاج» لابن حجر الهيتميِّ عليه الرحمة: يسنُّ لرائيها كتمُها، ولا ينالُ فضلَها ـ أي: كمالَه ـ إلَّا من أَطْلَعه اللهُ تعالى عليها. انتهى.

والظاهر أنَّه عنى برؤيتها رؤيةَ ما يحصلُ به العلم له بها ممَّا خُصَّتْ به من الأنوار وتنزُّلِ الملائكة عليهم السلام، أو نحواً من الكشف المفيد للعلم ممَّا لا يَعْرِفُ حقيقتَه إلَّا أهلُه، وهو كالنصِّ في أنَّها يراها مَن شاء الله تعالى من عباده.

وقال أبو حفص بن شاهين[(٤)] ـ على ما حكاه ابن رجب ـ: إنَّ الله تعالى لم يكشفها لأحدٍ من الأوَّلين والآخرين، ولا النبيين والمرسلين، في يومٍ ولا ليلةٍ، إلَّا نبينا ﷺ، فإنَّه لمَّا أنزلَها عليه، وعرَّفَهُ قَدْرَها، أراه عليه الصلاة والسلام إيَّاها في منامه، وعرَّفه في أيِّ ليلةٍ تكون، فأصبح عالماً بها، وأراد أنْ يُخبرَ بها الناس لسروره، فتَلاحى بين يديه رجلان، فأُنسِيها ﷺ، وأمر بطلبها في ليالي العشر الأواخر؛ لأنَّهم لا يرونَها مكاشفةً أبداً، ولا يراها أحدٌ بعدَه ﷺ أصلاً، فأُمِروا بذلك ليلتمس فضلها في الليالي المسماة. انتهى.

---

(١) في لطائف المعارف ص٢١٧.

(٢) شعب الإيمان (٣٧٠٧).

(٣) الموطأ ١/ ٣٢١، ومصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٥١٥، وشعب الإيمان (٣٧٠٤).

(٤) هو عمر بن أحمد بن محمد بن حسن بن شاهين، الشيخ المسند، توفي سنة (٤٥٤هـ). سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٢٧.

وحديثُ أنَّه ﷺ رآها ونُسِّيَها قد رواه الإمام مالك والإمام أحمد والبخاريُّ ومسلم وغيرهم[١]، وهو مما لا تردُّدَ في صحَّته، لكنَّ في دلالته على أنَّه لم يَعلم عليه الصلاة والسلام بها ولم يَرها بعدُ ولا يَراها أحدٌ من أمَّته ﷺ أبداً تردُّداً، ولعلَّ الأمر بالتماسها في العشر الأواخر مثلاً يشيرُ إلى رجاء رؤيتها فيها، إذ ما لا يُرجى في زمانٍ أو مكانٍ لا يَحْسُنُ أن يؤمرَ أحدٌ بالتماسه فيه عادةً، وفي بعض الأخبار ما يدلُّ على أنَّ رؤيتَها مناماً وقعتْ لغيره ﷺ، ففي «صحيح مسلم» وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رجالاً من أصحاب النبيِّ ﷺ أُرُوا ليلةَ القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمَن كان متحرِّيها فليتحرَّها في السبع الأواخر»[٢].

وحُكي نحو قولِ ابن شاهين عن غيره أيضاً وغُلِّط، ففي «شرح الصحيح» للنوويِّ: اعلم أنَّ ليلةَ القدر موجودةٌ، وأنَّها تُرى، ويتحقَّقُها مَنْ شاء اللهُ تعالى من بني آدم كلَّ سنةٍ في رمضان، كما تظاهرت عليه الأحاديث، وإخبار الصالحين بها، ورؤيتُهم لها أكثرُ من أن تحصى، وأمَّا قول القاضي عياض عن المهلب بن أبي صُفرة: لا يمكن رؤيتها حقيقةً، فغلطٌ فاحشٌ، نَبَّهْتُ عليه لئلَّا يُغْتَرَّ به[٣]. انتهى.

بقيَ في الكلام على هذه الليلة بحثٌ مهمٌّ، وهو أنَّه على قولِ المعتبرِين لاختلاف المطالِع يلزمُ القول بتعدُّدها في رمضان، وكونها وتراً من لياليه عند قومٍ وشفعاً عند آخرين، فلا يصحُّ إطلاقُ القول بأحدهما، وكذا لا يصحُّ إطلاقُ القولَ بأنَّها ليلةُ كذا، كليلة السابع والعشرين أو الحادي والعشرين مثلاً من الشهر، على ذلك أيضاً، بل لا يصحُّ إطلاقُ القول بأنَّ وقت التقديرِ وتنزُّلِ الملائكة ليلٌ، فالليلةُ عند قومٍ نهارٌ في الجهة المسامتة لأقْدَامهم، وهي قد تكون مسكونةً ولو بواسطة

---

(١) الموطأ ١/ ٣١٩، ومسند أحمد (١١٠٣٤) و(١١١٨٦)، وصحيح البخاري (٢٠١٨) و(٢٠٢٧)، وصحيح مسلم (١١٦٧)، وسلف ص١٩٨-١٩٩ من هذا الجزء، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم (١١٦٥).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٨/ ٦٦، وكلام القاضي عياض في إكمال المعلم ٤/ ١٤٨.

سفينةٍ تمرُّ فيها، وربَّما يكونُ زمانُ الليل عندَ قومٍ بعضه ليلاً وبعضُه نهاراً عند آخرين، كأهل بعض العُرُوض البعيدة عن خطِّ الاستواء، بل قد تنقضي أشهرٌ بليلٍ ونهارٍ على قومٍ، ولم ينقض يومٌ واحد في بعض العُرُوض، بل لا يَصحُّ أيضاً إطلاقُ القول بأنَّها في رمضان وأنَّها الليلة الأولى أو الأخيرة منه، إذ الشهرُ دخولاً وخروجاً مختلفٌ بالنسبة إلى سكان البسيطة.

وأجاب بعضٌ بالتزام أنَّ ما أُطلِق من القول فيها ليس على إطلاقه؛ فيكون القولُ بوتريتها بالنسبةِ إلى قومٍ وبشفعيتها بالنسبة إلى آخرين، وهكذا القولُ بأنَّها ليلةُ كذا من الشهر، وبالتزام أنَّها ليلةٌ بالنسبة إلى قوم نهارٌ بالنسبة إلى آخرين، وأنَّ التعبير بالليلة لرعاية مكان المنزَلِ عليه القرآنُ عليه الصلاة والسلام وغالبِ المؤمنين به، فإنَّ ما هو سمتُ أقدامهم ممَّا ليلهم نهاره لم يُعْمَر بالمسلمين، بل لا يكادُ يعمَرُ بهم حتى يرثَ الله تعالى الأرض ومن عليها.

وقال: إنَّها حيثُ كانت نهاراً عند قومٍ لا يبعدُ أنْ يعطي الله تعالى أجرَها مَن اجتهدَ من غيرهم في ليلة ذلك النهار، وأنْ يعطي سبحانَه ذلك أيضاً من اجتهدَ منهم ليلاً وهي عندهم نهار، وعلى نحو هذا يقال في الصُّوَر التي ذكرت في البحث. وادَّعى أنَّ هذا نوعٌ من الجمع بين الأحاديث المتعارضة، وأنَّ في قولهم: يسنُّ الاجتهاد في يومها، رمزاً مَّا لشيءٍ من ذلك. وهو كما ترى.

وأجاب آخَرُ بما يستحي القلمُ مِن ذِكْرِه، ويرى تَرْكَه هو الحَرِيَّ بقَدْرِه.

وسمعت من بعض أحبابي أنَّ الشيخ إسماعيل العجلوني[1] عليه الرحمة تعرَّض فيما شرح من «صحيح البخاريِّ» لشيءٍ من هذا البحث والجوابِ عنه، ولم أقف عليه.

وعندي أنَّ البحثَ قويٌّ، والأمرَ ممَّا لا مجالَ لعقلي فيه.

---

(١) هو إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء، محدث الشام في وقته، له «كشف الخفا»، و«الفيض الجاري في شرح صحيح البخاري»، توفي سنة (١١٦٢هـ). الأعلام ١/ ٣٢٥.

ومثلُ ليلة القدر فيما ذُكر وقتُ نزوله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا من الليل، كما صحَّت به الأخبار[١]، وكذا ساعة الإجابة من يوم الجمعة[٢]، إلى أمثال أُخر، وللشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى كلامٌ طويلٌ في الأوَّل لم يحضرني منه الآن ما يروي الغليل[٣]، ولغيره كابن حجر كلامٌ مختصرٌ في الثاني[٤]، وهو مشهور.

وربما يقال: إنها لِكلِّ قوم ليلتهم، وإن اختلفت دخولاً وخروجاً بالنسبة إلى آفاقهم كسائر لياليهم، فتدخلُ الليلة مطلقاً في بغداد مثلاً عند غروب الشمس فيها، وبعد نحو نصف ساعةٍ منه تدخلُ في إسلامبول مثلاً، وذلك أول وقتِ الغروب فيها، وهكذا، والخروج على عكس ذلك، فكأنَّ الليلةَ راكبٌ يسيرُ إلى جهة، فيصلُ إلى كلِّ منزلٍ في وقت، ويُلْتَزمُ أنَّ تنزُّلَ الملائكة حَسبَ سيرها، ولا يبعدُ أن يتنزَّل عند كلِّ قوم ما شاء الله تعالى منهم عند أوَّل دخولها عندهم، ويعرجونَ عند مطلع فجرها عندهم أيضاً، أو يبقى المتنزِّل منهم هناك إلى أن تنقضيَ الليلةُ في جميع المعمورة، فيعرجون معاً عند انقضائها، ويلتزمُ القول بتعدُّد التقدير حسبَ السير أيضاً بأن يقدِّر الله تعالى في أيِّ جزءٍ شاء سبحانه منها بالنسبة إلى مَن هي عندهم أموراً تتعلَّق بهم، ومناطُ الفضل لكلِّ قومٍ تحقُّقها بالنسبة إليهم، وقيامهم فيها، ومثل هذه الليلة فيما ذكر سائرُ أوقات العبادة، كوقت الظهر والعصر وغيرهما.

وهذا غايةُ ما يخطر بالبال فيما يتعلَّق بهذا الإشكال، وأمرُ ما يعكِّرُ عليه من أخبار الآحاد سهلٌ، على أنَّ الكثيرَ منها في صحَّته مقالٌ، فتأمَّل في ذاك، والله عز وجل يتولَّى هداك.

ثم إنَّ ليلةَ القدر عند السادة الصوفيَّة ليلةٌ يختصُّ فيها السالك بتجلٍّ خاصٍّ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ، وسلف ١/ ٣٢٦.
(٢) أخرجه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٣) ينظر مجموع الفتاوى ٥/ ٤٦٧ وما بعدها.
(٤) ينظر فتح الباري ٢/ ٤٢٢.

يَعْرِفُ به قَدْرَه ورتبتَه بالنسبة إلى محبوبه، وهي وقتُ ابتداء وصول السالك إلى عينِ الجمع ومقامِ البالغين في المعرفة، وما ألطفَ قول الشيخ عمر بن الفارض قُدِّس سره:

وكلُّ الليالي ليلةُ القدر إنْ دَنَتْ كما كلُّ أيَّامِ اللِّقا يومُ جمعةِ[1]

هذا واللهُ تعالى الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) ديوان ابن الفارض ص٨٠.

(سورة القدر)

(مكيّة، وقيل مدنيّة، وهي خمس آيات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ عظم القرآن حيث أسند إنزاله إليه دون غيره. وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذي أنزله فيه. رُوِيَ أنه أنزل جملة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله جبريل على رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة. ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها.

والقدر بمعنى التقدير، أو سميت بذلك لشرفها على سائر الليالي وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان، كذا روى **(أبو حنيفة** رحمه الله**)** عن **(عاصم)** عن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة القدر، مكية، وقيل: مدنية، وهي خمس آيات) وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفًا. **قوله: (أبو حنيفة رحمه الله)** هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الصحيح أنه وُلد سنة ثمانين، وأجمعوا على أنه مات سنة خمسين ومئة. **قوله: (عاصم)** هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود بفتح النون وضم الجيم وسكون الواو وبعدها دال مهملة ابن بهدلة بفتح الباء الموحّدة وسكون الهاء وفتح

(زر) أن (**أُبَيّ بن كعب**) كان يحلف على ليلة القدر أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه الجمهور. ولعل الداعي إلى إخفائها أن يحيي مَن يريدها الليالي الكثيرة طلبًا لموافقتها، وهذا كإخفاء الصلاة الوسطىٰ، واسمه الأعظم، وساعة الإجابة في الجمعة، ورضاه في الطاعات، وغضبه في المعاصي. (**وفي الحديث**: «**مَن أدركها يقول: اللَّهمَّ إنك عفوٌّ تحب العفو فاعف عني**»).

الدال المهملة واللام بعدها هاء ساكنة، ويُقال: إنه اسم أمه كان أحد القراء السبعة والمشار إليه في القراءات أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمٰن السلمي وزرّ بن حبيش وأبو بكر بن عياش وأبو عمر البزاز، وتوفي عاصم في سنة سبع وعشرين ومائة بالكوفة رحمه الله. **قوله**: (زر) بكسر الزاي وتشديد الراء ابن حبيش بن حباشة بن أوس الأسديّ من أسد بن خزيمة يكنّى أبا مريم، وقيل: أبا مطرف أدرك الجاهلية ولم يرَ النبيّ ﷺ وهو من كبار التابعين. روى عن عمر وعلي وابن مسعود، روى عنه الشعبي والنخعي وكان فاضلًا عالمًا بالقرآن تُوفي سنة ثلاث وثمانين وهو ابن مائة سنة وعشرين سنة. أخرجه أبو عمر وأبو موسى. **قوله**: (**أُبَيّ بن كعب**) بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو المنذر سيّد القراء ويكنى أبا الطفيل أيضًا من فضلاء الصحابة، قال أبو نعيم: اختلف في وقت وفاة أبي، فقيل: تُوفي سنة اثنتين وعشرين في خلافة عمر، وقيل: سنة ثلاثين في خلافة عثمان، قال: وهو الصحيح لأن زر بن حبيش لقيه في خلافة عثمان. **قوله**: (**وفي الحديث**: «**مَن أدركها يقول**: **اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**) وعن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال: قولي اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني. أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه النسائي وابن ماجة.

فائدة: في تفسير الخطيب ذكر عن أبي الحسن الشاذلي رحمه الله أنه قال: مَن أراد أن يعرف ليلة القدر فلينظر إلى غرة رمضان أي إلى أوّله فإن كان يوم الأحد فليلة القدر ليلة تسع وعشرين، وإن كان يوم الاثنين فليلة القدر إحدى وعشرين، وإن كان يوم الثلاثاء فليلة سبع وعشرين، وإن كان يوم الأربعاء فليلة تسعة عشر، وإن كان يوم الخميس فليلة خمس وعشرين، فإن كان يوم ليلة الجمعة فليلة سبعة عشر، وإن كان يوم السبت فليلة ثلاث وعشرين. اهـ بحروفه.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴿٣﴾﴾

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾﴾ أي لم تبلغ درايتك غاية فضلها. ثم بيّن له ذلك بقوله: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴿٣﴾﴾ ليس فيها ليلة القدر. وسبب ارتفاع فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزّل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم. وذكر في تخصيص هذه المدة **(إن النبي عليه الصلاة والسلام ذكر رجلًا من بني إسرائيل لبس السلاح)** في سبيل الله (﴿أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾) فعجب المؤمنون من ذلك **(وتقاصرت إليهم أعمالهم)** فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي.

﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴿٥﴾﴾

﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إلى السماء الدنيا أو إلى الأرض ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ جبريل أو خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة أو الرحمة ﴿فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ **(أي تنزل من أجل كل أمر)** قضاه الله لتلك السنة إلى قابل وعليه وقف.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ **(ما هي إلا سلامة)** خبر ومبتدأ أي لا يقدّر الله فيها إلا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة، أو **(ما هي إلا سلام)** لكثرة **(ما يسلمون)** على المؤمنين. قيل: لا يلقون مؤمنًا ولا مؤمنة إلا سلّموا عليه في تلك الليلة

قوله: **(إن النبي ﷺ ذكر...)** الخ رواه ابن أبي حاتم مرسلًا. **قوله**: **(رجلًا من بني إسرائيل)** قيل: إنه حزقيل. **قوله**: **(لبس السلاح)** أي الدرع لأنه الملبوس فذكر السلاح تغليبًا. **قوله**: (﴿أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾) وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر. **قوله**: **(وتقاصرت إليهم أعمالهم)** أي قصروا أعمالهم وظهرت لهم قلّة أعمالهم بالنسبة إلى ذلك الرجل الإسرائيلي فإنه أعطى عمرًا طويلًا وعملًا كثيرًا فحزنوا لذلك فأعطوا ليلة هي خير عملًا وثوابًا... الخ.

قوله: **(أي تنزل من أجل كل أمر)** أشار به إلى أن مَن بمعنى اللام متعلّق بقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾. **قوله**: **(ما هي إلا سلامة)** أي أشار به إلى أن تقديم الخبر للحصر والسلام بمعنى السلامة من كل آفة. **قوله**: **(أو ما هي إلا سلام)** أي ﴿سَلَٰمٌ﴾ مصدر بمعنى التسليم. **قوله**: **(ما يسلمون)** ما مصدرية وجعلها عين السلام مبالغة أيضًا.

﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ (أي إلى وقت طلوع الفجر. بكسر اللام: علي وحمزة وخلف)، وقد حرم من السلام الذين كفروا والله أعلم.

قوله: (أي إلى وقت طلوع الفجر) أي المطلع مصدر ميمي بمعنى الطلوع والمضاف أي الوقت مقدّر قبله ويحتمل أنه اسم زمان فلا حاجة للتقدير فيه على قراءته بفتح اللام. اهـ شهاب باختصار. وفي التمجيد ولا يجوز أن يحمل على موضع الطلوع ولا على زمان الطلوع لأن اسم الزمان منه يجيء بالكسر. قال الزجاج: فمن فتح فهو المصدر بمعنى الطلوع يقال: طلع الفجر طلوعًا ومطلعًا ومن كسر فهو اسم لوقت الطلوع. اهـ. **قوله: (بكسر اللام: علي)** الكسائي **(وحمزة وخلف)** عن نفسه على أنه مصدر ميمي على خلاف القياس فإن قياس المصدر الميمي من الثلاثي أن يجيء على مفعل بفتح العين، وكذا إذا كان اسم زمان فإن كسر عينه مخالف للقياس لأن قياس اسم الزمان من يفعل ويفعل بفتح العين وضمها أن يكون على مفعل بفتح العين وما يكون سواه حمل على المصدر أو اسم الزمان ولا معنى لكون ﴿مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ اسم مكان وهو ظاهر. اهـ شيخ زاده. وقرأ الباقون بفتح اللام.

تمّت سورة القدر بحمد الله وعونه وحُسْن توفيقه
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم